دكتور فريد محمد بدوي النكلاوي
كليـة اللغة العربية — جامعة الأزهر

المسائل البلاغية
في
كتاب الصاحبي لابن فارس

الطبعة الأولى
١٤٠٦هـ — ١٩٨٦م

مطبعة الأمانة
٣ شارع جزيرة بدران شبرا - مصر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تمسك بهديه الى يوم الدين ، ربنا عليك توكلنا واليك أنبنا واليك المصير .

وبعـــد

فقد عرف الصاحبى بعلم اللغة ولكنه لم يكن كثيره من العلمـاء بمنأى عن مسائل البلاغة التى وجدت فى ثنايا كتبه وعلى الأخص كتاب « الصاحبى فى فقه اللغة وسنن العرب فى كلامها » .

ذلك الكتاب الذى وضعه فى فقه اللغة ومعرفة طرق العــرب فى كلامهم ، مما يجعل تعرضه لبعض مسائل البلاغة أمرا لازما حيث يبين فى هذا الكتاب كيف استخدمت العرب الألفاظ والأساليب .

وأول ما نراه فى هذا الكتاب من مصطلحات البلاغة كلمة « مجاز » التى وردت فى تقسيمه علم العرب الى فرع وهو معرفة الأسماء والصفات، وأصل وهو خاص بموضوع اللغة وأوليتها ومنشئها ثم على رسوم العرب فى مخاطباتها ما لها من الافتنان تحقيقا ومجازا (١)

ويشيد بمن جمع بين معرفة الفرع والأصل ويعتبر ذلك « الرتبة العليا » لأن بها يعلم خطاب القرآن والسنة .

---

(١) الصاحبى ٢ ، ٣ .

ويعد عدم معرفة توسعات العرب عيا فيقول « ولو أنه لم يعلم توسع العرب فى مخاطباتها لعى بكثير من علم محكم الكتاب والسنة ويحتج لهذا فيقول : الا تسمع قول الله « ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه » (٢) ٠

فسر هذه الآية فى نطقها لا يكون بمعرفة غريب اللغة والوحشى من الكلام وانما معرفته بغير ذلك مما لعل كتابنا هذا يأتى على أكثره بعون الله تعالى (٣) ٠

هذا ، وتتناول دراستى لهذا الكتاب استنباط المسائل البلاغية الخاصة بعلوم البلاغة الثلاثة ووضعها تحت أبوابها المصطلح عليها عند البلاغيين حيث وردت هذه المسائل متفرقة فى ثنايا كتاب الصاحبى وتحمل أسماء ومصطلحات تختلف غالبا عما عرف فى علوم البلاغة ٠

ولم تقتصر دراستى على مجرد جمع شتات هذه المسائل ووضع كل مسألة فى بابها شملت هذه الدراسة كذلك تأصيل هذه المسائل وموازنتها مع ما ذكره البلاغيون لبيان أوجه الاتفاق أو الاختلاف ، مع ذكر الوجوه والنكات الأخرى فى الأمثلة التى ذكرها ابن فارس لتكون الفائدة أتم ، كما نبهت على المواضع التى اتفق فيها مع ابن قتيبة وغيره فى بعض الفصول والأغراض ٠

---

(٢) سورة الأنعام ٥٢ وانظر الكشاف ٢/٢١ ٠

(٣) وهذا الكلام صريح فى أن كتابه ليس فى معرفة معانى الكلمات فقط بل ها هو يأخذ على نفسه أنه سيتعرض لتأويل ما يلزم تأويله ومعرفة طريقته عند العرب وما يفضى اليه من معنى وهذا أمر فى الغالب مما له دخل بكثير من مسائل البلاغة مما حدانى أنه اتجه لدراسة مسائل البلاغة فيه

كما نبهت عند دراستى لأى غرض مما ذكره على ما يتعلق به من قضايا أو آراء عند البلاغيين مع ذكر قيمة هذا الغرض والفائدة المنوطة به •

وقد استعنت فى هذه الدراسة بمصادر البلاغة المختلفة وكتب التفسير واللغة وغيرها حتى أتمكن من بيان كل ما يتعلق بالأمثلة التى أوردها وذكر ما يقال فيها من آراء متعددة خاصة أن أمثلته فى الغالب من كتاب الله تعالى •

وقد تضمنت هذه الدراسة ثلاثة فصول وخاتمة مع نبذة موجزة فى التعريف بابن فارس وكتابه الصاحبى •

وجاء الفصل الأول : متناولا لما ذكره ابن فارس من مسائل علم المعانى والفصل الثانى : فيما ذكره ابن فارس فى الصاحبى من مسائل علم البيان •

وأما الفصل الثالث : فقد تناول مسائل علم البديع فى الصاحبى، والخاتمة حول قيمة هذه المسائل ومكانة ابن فارس بين علماء البلاغة فى عصره •

وقد أردت بهذه الدراسة أن أبرز دور عالم من علماء اللغة وجهده فى البحث البلاغى من خلال مؤلفه الذى تناولته هذه الدراسة وأرجو أن أكون — بعون الله تعالى — قد وفقت فيما قصدت اليه وأسأل الله سبحانه أن يجزينى عن هذا العمل كما ألتمس من القارىء العذر ان بدا له عوار هذا العمل لأن أحدا لا يستطيع أن يدعى لنفسه بلوغ الغاية فى العلم وصدق الله اذ يقول « وفوق كل ذى علم علم » •

ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا ربنا ولا تحمل علينا اصرا كما

حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنـــا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين •

هذا وبالله العون ومنه التوفيق والسداد ،،

القـــاهرة فى ربيع الآخر سنة ١٤٠٦ م
ينـــاير سنة ١٩٨٦ م

د• فريد محمد بدوى النكلاوى
الاستاذ المساعد بقسم البلاغة والنقـــد
كليـــة اللغة العربية ــ القاهرة

التعريف بابن فارس :

هو أبو الحسين احمد بن فارس بن زكريا بن محمد بن حبيب الرازى اللغوى ، كان اماما فى كثيرمن العلوم خاصة فى اللغة ، حيث أتقنها وأجادها وله فيها عدة مؤلفات منها المجمل فى اللغة الذى جمع فيه الكثير من مسائل اللغة ، ومن آثاره كذلك الصاحبى ومتخير الألفاظ ، ومعجم مقاييس اللغة •

وله رسائل أنيقة ، ومسائل فى اللغة تعايا بها الفقهاء ، وقد إقتبس منه الحريرى أسلوبه فى وضع المسائل الفقهية فى المقامة الطيبية •

وكان ابن فارس يقيم بهمذان وعليه تتلمذ بديع الزمان الهمزانى وقد تتلمذ ابن فارس على عدد من الشيوخ ومنهم والده فارس ابن زكريا ، وأبو بكر احمد بن الحسن الخطيب ، وابو بكر محمد بن احمد الأصفهانى ، واحمد بن طاهر المنجم وغيرهم ، وقد تلقى عنهم شتى ألوان المعرفة (١) •

كما أن من تلاميذ بن فارس : بديع الزمان الهمذانى ، وأبو طالب ابن فخر الدولة البويهى ، واحمد بن محمد الرازى ، وعلى بن القاسم المقرى وغيرهم •

ومع أن ابن فارس قد اشتهر بعلم اللغة الا أنه كان شاعرا كاتبا وناقدا ، يقول عن نفسه فى مقدمة متخير الألفاظ : وهو كتاب كاتب عرف جوهر الكلام وآثر الإختصاص بجيده ، أو شاعر سلك المسلك الأوسط مرتقيا عن الدون المسترذل ، ونازلا عن الوحشى المستغرب (٢)

---

(١) نزهة الألباء ٣٩٣ ، ٣٩٤ (٢) متخير الألفاظ ص ٤٣ •

كما يذكر فى موضع آخر مطالعاته لدووابن الشعراء وتأملها فيقول:
وعولت فى أكثره على ألفاظ الشعراء بعد التنقير عن أشعارهم والتأمل فى دواوينهم فليعلم قارئه أنه كتاب يصلح لمن يرغب فى جزل الكـلام وحسنه ولمن يجود تمييزه واختياره (٣) .

ويقول عبد السلام هارون عن منزلته النقدية :

وابن فارس يلم أيضا بالحياة الأدبية فى عصره ولا يتزمت كمـا يتزمت كثير من اللغويين الذين ينصرفون عن انتاج معاصريهم ولايقيمون له وزنا ، فهو يصغى الى نشيدهم ويروى لكثير منهم وينتصر للمحسن وينتصف له من المتعصبين الجامدين الذين يزيفـون شـعر المحـدثين ويستسقطونه (٤) ، وله رأى فى الشعر مذكور ضمن الدراسة ، ولابن فارس كذلك أشعار جيدة ذكر كثيرا منها الثعالبى وياقوت الحموى وابن خلكان وابن العماد وغيرهم .

ومن أشعاره :

مرت بنـا هيفـاء مجـدولة
تركيـة تنمـى لتـركى
ترنمـو بطـرف فـاتر فـاتن
أضـعف من حجـة نحـوى

وقـوله :

اذا كنت فى حـاجة مرسـلا
وانت بهـا كلـف مغـرم

(٣) المرجع ٤٤ .
(٤) مقدمة معجم مقاييس اللغة ١٥ .

فأرسل حكيما ولا توصه
وذاك الحكيم هو الدرهم

ومن ذلك أيضا قوله :

وقالوا كيف حالك قلت خير
تقضى حاجة وتفوت حاج
اذا ازدحمت هموم الصدر قلنا
عسى يوما يكون لها انفراج
نديمى هرتى وأنيسى نفسى
دفاتر لى ومعشوق السراج

وقد توفى على أشهر الأقوال سنة تسعين وثلاثمائة بالرى ودفن مقابل مشهد القاضى بن عبد العزيز الجرجانى (٥) ٠

كتاب الصاحبى وسبب تسميته بذلك :

يقول ابن فارس وانما عنونته بهذا الاسم لأنى لما ألفته أودعته خزانة الصاحب الجليل — يقصد الصاحب بن عباد — تجملا بذلك وتحسنا ، اذ كان ما يقبله كافى الكفاة من علم وأدب مرضيا مقبولا وما يرذله أو ينفيه منفيا مرذولا ولأن أحسن ما فى كتابنا هذا مأخوذ عنه ومفاد منه (٦) ٠

ثم يذكر ما قام به من عمل فى الصاحبى فيقول : والذى جمعناه فى مؤلفنا هذا مفرق فى أصناف العلماء المتقدمين رضى الله عنهم وجزاهم عنا أفضل الجزاء وانما لنا فيه اختصار مبسوط أو بسط مختصر أو شرح مشكل أو جمع متفرق ٠(٧)

---

(٥) انظر ترجمته فى وفيات الأعيان ١/١٠٠ ٠
(٦) الصاحبى ٢ ٠
(٧) نفس المرجع ص ٥ ٠

الفصل الأول

فيما تضمنه الصاحبى من علم المعاني

قيمة البيــان عند الصاحبى :

فى كلامه عن فضل لغة العرب أورد ابن فارس :

قول الله سبحانه (بلسان عربى مبين) (١) وذكر أن الله وصــف القرآن بأبلغ ما يوصف به الكلام وهو البيان (٢) ، وفى قوله « خلــق الانسان علمة البيان (٣) » .

يقول : قدم جل ثناؤه ذكر البيان على جميع ما توحد بخلقه وتفرد بانشائه من شمس وغيره من الخلائق المحكمة ... ثم يقول فلمــا خص اللسان العربى بالبيان علم أن سائر اللغات قاصرة عنه وواقفة دونه ..

ويورد اعتراضا مضمونه أنه ان قيل : قد يقع البيان بغير اللسان العربى لأن من أفهم بكلامه على شرط لغته فقد بين ؟ ثم يرد قيل : ان كنت تريد أن المتكلم بغير اللغة العربية قد يعرب عن نفسه حتى يفهــم السامع مراده فهذا أخس مراتب البيان (٤) لأن الأبكم قد يدل باشارات وحركات له على أكثر مراده ثم لا يسمى متكلما فضلا عن أنه يســمى بينا أو بليغا .

---

(١) سورة الشعراء ١٩٥ .

(٢) انظر اعجاز القرآن ص ٢٧٦ وما بعدها .

(٣) ٢ الرحمن .

(٤) يفهم من ذلك أنه مجرد الافهام لا يرضى ابن فارس وانما لابد أن تقع هذه الدلالة فى تراكيب فصيحة بينة عن المراد غاية البيان مراعى فى ذلك كل ما يحتاجه الاسلوب من خصائص .

ــ ثم بين ما امتازت به اللغة العربية (٥) عن غيرها في اتساع دلالتها وتنوع أساليبها وكثرة ترادفاتها فيقول: وإن أردت أن سائر اللغات تبين ابانة اللغة العربية فهذا غلط لأنا لو احتجنا أن نعبر عن السيف بالفارسية لما أمكننا ذلك الا باسم واحد ونحن نذكر للسيف بالعربية صفات كثيرة، فاين هذا من ذاك ؟ .

وأين لسائر اللغات من السعة ما للغة العربية ؟ هذا ما لا خفاء به على ذي نهية (٦) ويضيف نقلا عن بعض العلماء أن للعرب سننا في التعبير من الاستعارة والتمثيل والقلب والتقديم والتأخير وغيرها مما هو موجود

---

(٥) ما قاله عبد الوهاب عزام في مقدمة شاهنامة الفردوس عن فضل لغة العرب .

(٦) الصاحبي ١٢ يقول الباقلاني « وانما فضلت العربية على غيرها لاعتدالها في الوضع لذلك وضع أصلها على أن أكثرها بالحروف المعتدلة، فقد أهملوا الألفاظ المستكرهة في نظمها واسقطوا من كلامهم ، وجعلوا عامة لسانهم على الأعدل .. ثم يقول ولضيق ما سوى كلام العرب أو لخروجه عن الاعتدالة يتكرر في بعض الألسنة الحرف الواحد في الكلمة الواحدة والكلمات المختلفة كثيرا كنحو تكرر الطاء والسين في لسان يونان ولذلك لا يمكن أن ينظم من الشعر في تلك الألسنة على الأعاريض التي تمكن في اللغة العربية ، والعربية أشدها تمكنا ، وأشرفها تصرفا وأعدلها ، ولذلك جعلت حلية لنظم القرآن وعلق بها الأعجاز ، وصار دلالة في النبوة ، واذا كان الكلام انما يفيد الابانة عن الأغراض القائمة في النفوس .. فما كان أقرب في تصويرها وأظهر في كشفها للفهم الغائب عنها وكان مع ذلك أحكم في الابانة عن المراد وأشد تحقيقا في الايضاح عن المطلب وأعجب في وضعه وأرشق في تصرفه وأبرع في نظمه كان أولى وأحق بأن يكون شريفا اعجاز القرآن ١١٨ .

فى القرآن خلافا للغات الأخرى التى لم يترفر لها مثل هذا الاتســـاع ومن ثم لا يمكن نقل القرآن الى شىء من الألسنة الاخرى (٧) .

وعن بلاغة القرآن وعدم امكان ترجمته :

يقول : قال بعض علمائنا (٨) لا يقدر أحد من التراجم أن ينقـــل القرآن الى شىء من الألسنة كما نقـــل الانجيـــل عن السريانيـــة الى الحبشية والدومية ، لأن العجم لم تتسع فى المجاز اتساع العـــرب ، الا ترى أنك لو أردت أن تنقل قوله جل ثناؤه « واما تخافن من قوم خيانة فانبذ اليهم على سواء (٩) » .

لم تستطع أن تأتى بهذه الألفاظ المؤدية عن المعنى الذى أودعتـــه حتى تبسط مجموعها وتصل مقطوعها وتظهر مستورها فتقول : ان كان بينك وبين قوم هدنة وعهد فخفت منهم خيانة ونقضا فأعلمهم أنك قد نقضت ما شرطته لهم وأذنهم بالحرب لتكون أنت وهم فى العلم بالنقض على استواء (١٠) .

---

(٧) نفس المرجع ص ١٣ بتعرف فى العبارة .

(٨) هو أبو عبيدة ، انظر البرهان ١/٢٨٧ وقد عرض الرازى هذه القضية والخلاف فيها بافاضة انظر التفسير الكبير ١/١٠٨ ــ ١١١ .

(٩) الأنفال ٥٨ .

(١٠) كل ذلك أغنى عنه قوله تعالى « فانبذ اليهم على سواء » لما فيه من الايجاز المغنى عن كل هذه الجمل ولما فيه من الاستعارة بالكناية التى صورت العهد بصورة الشىء الذى يرمى لعدم الرغبة فيه وأثبت له النبذ على طريق التخييل ومعنى على سواء أى على طريق مستوقصد ، بأن تظهر لهم نبذ العهد ، وتخبرهم أخبار مكشوفا بينا بانك قطعت ما بينك وبينهم ، ولا تناجزهم الحرب وهم على توهم بقاء العهد ، وقيل على استواء فى العلم بنقض العهد وقيل على استواء فى العداوة ، انظر حاشية الشهاب ٤/٢٨٦، والكشاف ٢/١٦٥ .

وكذلك قــوله جـــل ثنــاؤه « فضربنـــا عــلى آذانهم فى الكهف » (١١) •

فان قال قائل « فهل يوجد فى سنن العرب ونظومها ما يجرى هذا المجرى ؟ »

قيل له : ان كلام الله جل ثناؤه أعلى وأرفع من أن يضاهى أو يقابل أو يعارض به كلام (١٢) •

وكيف لا يكون كذلك وهو كلام العلى الأعلى خالق كل لغة ولسان ،؟ لكن الشعراء قد يومئون ايماء ويأتون بالكلام الذى لو أراد مريد نقله لاعتاص وما أمكن الا بمبسوط من القول وكثير من اللفظ •

ثم يعود لبيان قيمة اللغة العربية وفضلها على غيرها فيقول :

ولو أراد أن يعبر عن قول أمرىء القيس * فدع عنك نهبا صيح فى حجراته * بالعربية فضلا عن غيرها لطال عليه ، وكــذا قول القــائل (والظــن على الكـــاذب) (١٣) و : نجــــارها نارها (١٤) ، وعيى

---

(١١) الكهف ١١ والآية أيضا فيها ايجاز بحذف المفعول وهو حجابا يمنع الســماع والضرب مســتعار للأنامة التى ينتبه منها بالصياح ، وهو اما من ضربت القفل على الباب أو ضربت الخباء على ساكنه • شبه لاستغراقه فى نومه بمن كان خلف حجب مانعة من وصول الأصوات اليه •
الشهاب ٧٨/٦ وانظر الكشاف ٤٧٣/٢ •

(١٢) انظر اعجاز القرآن للباقلانى ص ٢٠ ، ٢٤٨ •

(١٣) هو للحارث بن همام فى حماسة أبى تمام •

(١٤) مثل يضرب فى شــواهد الأمور التى تدل على علم باطنها كما تدل على سمة الابل على أصلها ، والنجار : الأصل ، والنار : السمة ، مجمع الأمثال ٣٣٨/٢ •

بالأسناف (١٥) وهو كثير بمثله طالت لغة العرب (١٦) ثم بين مرة ثانية أن العربية انما فضلت على غيرها بما فيها من الاتساع والمجاز وغيرهما فيقول : فأين لسائر الأمم ما للعرب ؟ ومن ذا يمكنه أن يعبر عن قولهم ذات الزمين (١٧) •

وكثرة ذات اليد (١٨) ، ويد الدهر (١٩) ، وتخاوصت النجوم (٢٠) ومجت الشمس ريقها (٢١) ، ودرأ الفيء (٢٢) ، ومفاصل القول (٢٣)

---

(١٥) السناف للبعير كاللبيب للدابة ، وقد سنفت البعير شددت عليه السناف ، ويقولون اسنفوا أمرهم أى أحكموه ، وهذا مثل يضرب لم أمره ، وأصله أن رجلا دهش فلم يدر كيف يشد السناف من الخوف ، مجمع الأمثال ١/١٨ •

(١٦) الصاحبى ص ١٥ •

(١٧) الزمين تصغير الزمن ، يقال لقيته ذات الزمين تريد بذلك تراخى الوقت أى وقتا بعد وقت ، انظر الصحاح مادة « زمن » •

(١٨) المراد به الغنى لأن اليد تطلق على النعمة والعبارة فيها مجاز مع ايجاز •

(١٩) وهذا القول استعارة بالكناية على تشبيه الدهر بمن له يد وأعضاء يبطش بها •

(٢٠) يقال رجل أخوص أى غائر العين ، ويقال انه يتخاوص لفلان اذا غض من بصره محدقا ، ومعنى تخاوصت النجوم اذا صغت الى الغروب وهو من المجاز ، أساس البلاغة ١٢٢ •

(٢١) والمعنى مالت الى الغروب ، أو وصلت الى نهاية اليوم على التشبيه لها بالشيخ الكبير الذى يمج ريقه ولا يستطيع أن يحبسه ، انظر أساس البلاغة ٤٢٠ ، والصحاح مادة « مجج » •

(٢٢) ان كان المراد بالفيء هنا الظل فالمعنى أنه دفعه على التشبيه للظل بما يمكن دفعه •

(٢٣) وهذا على التشبيه للقول بالشيء الذى له مفاصل كاللحم وغيره وهذا من قولهم أصاب المجز وطبق المفصل اذا قال قولا سديدا بينا مصيبا •

وأتى بالأمر من فصه (٢٤) ، وهو رحب العطن (٢٥) ، وغمر الرداء السيف (٢٦) ، ويخلق ويفرى (٢٧) ، وهو ضيق المجم (٢٨) قلق الوضين رابط الجأش وما أشبه هذا من بارع كلامهم .

ومن الايماء اللطيف ، والاشارة الدالة : وما فى كتاب الله جل ثناؤه من الخطاب العالى اكثر واكثر ، قال «ولكم فى القصاص حياة» (٢٩) يحسبون كل صيحة عليهم (٣٠) وأخرى لم تقدروا عليها قد أحاط الله

---

(٢٤) والمراد من هذا القول أنه أتى بالأمر من محزه ومفصله وأصله انظر أساس البلاغة « فصص » .

(٢٥) العطن : المناخ حول الورد ، وهو رحب العطن مستعار لرحابة الذراع ، أساس البلاغة « عطن » .

(٢٦) استعير الرداء للسيف لأنه يقى حامله كما يقيه الثوب

(٢٧) يقال : خلق الخياط الثوب : أى قدره قبل القطع ، وفريت الشىء قطعته لأصلحه وهذا يقال فيمن يحسن تقدير الشىء واصلاحه .

(٢٨) المجمة مجتمع ماء البئر ، ومعنى ضيق المجم أى لا يحتمل كثيرا على التشبيه لطاقته بمجم البئر الضيقة ، والوضين للهودج بمنزلة الحزام للسرج ، ويقال قلق وضينها أى بطانها من الهزال .

(٢٩) البقرة ١٧٩ وهذه العبارة علم فى الايجاز كما هو معروف وقد وازن البلاغيون بينها وبين قول العرب « القتل أنفى للقتل » وبينوا فضل الآية على قول العرب فى أكثر من عشر نقاط .

(٣٠) المنافقون ٤ وفى القول الكريم ايجاز وتقدير المعنى يحتاج الى كثير من العبارات أى يحسبون كل صيحة واقعة عليهم وضارة لهم وذلك لجبنهم وما فى قلوبهم من الرعب اذا نادى مناد فى العسكر أو انفلتت دابة أو أنشدت ضالة ظنوه ايقاعا بهم ، وقيل كانوا على وجل من أن ينزل الله فيهم ما يهتك أستارهم ويبيح دماءهم وأموالهم ، وقد تمثل الشعراء معنى =

بها (٣١) أنما يغيكم على أنفسكم (٣٢) ، ولا يحيــق المكــر السيء الا بأهله (٣٣) وللعرب بعد ذلك كلم تلوح فى أثناء كــلامهم كالمصــابيح فى الدجى ، كقولهم للجموع للخير فثوم ، وهذا أمر قاتم الاعماق أســود النواحى ، فى هذا الأمر مصاحب وقحم (٣٤) ، تقارعوا تقارع الفراش

= الآية الكريمة فى أقوالهم ومن ذلك قول الأخطل :

مازلت تحسب كل شيء بعدهم　　خيــلا تكر عليهم ورجــالا

كما غالى المتنبى فى هذا المعنى فقال :

وضاقت الأرض حتى صارها ربهم　　اذا رأى غــير شيء ظنه رجلا

الكشاف والانصاف ١٠٩/٤ .

(٣١) الفتح ٢١ والأحاطة بالشيء : الاحداق به من جميــع جوانبه ، والاحاطة هنا مجــاز عن القــدرة والتمكن والاســتيلاء ، أى قدر الله عليها واستولى واظهركم عليها وغنمكوها انظر الكشاف ٥٤٧/٣

(٣٢) يونس ٢٣ ، وفى الآية حذف ومجاز يقول البيضاوى فان وباله عليكم أو أنه على أمثالكم وأبناء جنسكم ، ويوضــح الشهاب هذا فيقول : يعنى أن البغى فى الواقع على الغير فجعله على أنفسهم لأن وباله عائد عليهم فهو اما بتقدير مضاف و « على » متعلقــة به ، أو باطــلاق البغى الذى هو سبب للوبال عليه فعلى متعلقة به ، أو على الاستعارة بتشبيه بغية على غيره وايقاعه باقاعة على نفسه فى ترتيب الضرر فيهما ، أو المراد بالأنفس أمثالهم استعارة ، أو أبناء جنسهم لأنهم كنفس واحدة وهو اســتعارة أيضــا حاشية الشهاب ١٩/٥ وانظر الكشاف ٢٣٢/٢ .

(٣٣) فاطر ٤٣ ، ومعنى يحيــق يحيط وينزل ، وهــذا القول جار مجرى المثل ، ويناظر ذلك من كلام العرب فى المعنى (من حفر لأخيه جبا وقع فيه منكبا) انظر الكشاف ٣١٢/٣ .

(٣٤) القحمة السنة الشديدة ، والقحم عظام الأمور .

فى النار ، له قدم صدق (٣٥) الخ وهذه كلمات من قرحة واحدة فكيف
اذا جال الطرف فى سائر الحروف مجالة ولو تقصينا ذلك لجاوزنا الغرض
ولما حوته أجلاد وأجلاد (٣٦) .

كلام ابن فارس عن اعجاز القرآن الكريم

يذكر أن ما فى القرآن من ألفاظ أعجمية أعربها العرب بألسنتهم
ويقرر أن من الدلالة على الاعجاز أن القرآن لو كان فيه من غير لغة
العرب شىء لتوهم متوهم أن العرب انما عجزت عن الاتيان بمثله لأنه

---

(٣٥) هذا القول مأخوذ من قوله تعالى « أن لهم قدم صدق عند ربهم»
وفى الآية صور شتى من المجاز لأن المراد بالقدم هنا السابقة الى الخير
والسابقة هنا مصدر بوزن فاعلة ، بمعنى السبق ، والسبق كالتقدم
بمعنى فضلهم على غيرهم لما خصوا به من سائر الأمم ، فالقدم مجاز مرسل
عن السبق لكونها سببه وآلته ، والسبق مجاز عن الفضل والتقدم المعنوى
الى المنازل الرفيعة فهو مجاز بمرتبتين ، وقيل المراد تقدمهم على غيرهم فى
دخول الجنة ، وقيل تقدمهم فى البعث وفى الكشاف وجه آخر ، وهو أن
قدم صدق بمعنى مقام صدق « كمقعد صدق » باطلاق الحال وارادة المحل.
وقال أحمد : لم يسموا سابقة السوء قدما اما لكون المجاز لا يطرد أو لأنه
غلب فى العرف عليه ، والصدق متجوز به عن توفيه الأمور الفاضلة حقها
للزوم الصدق لها حتى كأنها لا توجد بدونه ، حاشية الشهاب ٥/٥ ـ
وانظر الكشاف والانتصاف ٢/٢٤ ويقصد ابن فارس بذكر هذه الآيات
والأقوال بيان ما فى لغة العرب من الاتساع والايجاز وغيره مما يعد غاية
البيان والرونق .

(٣٦) الصاحبى ١٦ ، ١٧ .

أتى بلغات لا يعرفونها وفى ذلك ما فيه (٣٧) واذا كان كذا فلا وجه نقول

---

(٣٧) ويوافق ابن فارس فى هذا القول كثير من العلماء منهم الامام الشافعى وابن جرير وأبو عبيدة والقاضى أبو بكر ، وقال ابن عطية ، كان للعرب العاربة التى نزل القرآن بلغتهم بعض مخالطة لسائر الألسنة فى أشعارهم فعلقت العرب من لغاتهم ألفاظا غيرت بعضها بالنقص من حروفها واستعملتها فى أشعارها ومحاوراتها حتى جرى مجرى العربى الفصيح ووقع بها البيان، وعلى هذا الحد نزل بها القرآن ، وقال أبو المعالى : انما وجدت هذه الألفاظ فى لغة العرب لأنها أوسع اللغات وأكثرها ألفاظا ، ويجوز أن يكونوا سبقوا الى هذه الألفاظ ، ــ وذهب جماعة الى وقوع ألفاظ غير عربية فى القرآن لأن الكلمات اليسيرة بغير العربية لا تخرجه عن كونه عربيا، ويقول السيوطى وأقوى ما رأيته للوقوع ــ وهو اختيارى ــ ماأخرجه ابن جرير عن أبى ميسرة قال : فى القرآن من كل لسان ، وفى ذلك اشارة الى أن حكمة وقوع هذه الألفاظ فى القرآن أنه حوى علم الأولين والآخرين ونبأ كل شىء فلابد أن تقع فيه الاشارة الى أنواع اللغات والألسن لتتم احاطته بكل شىء ، فاختير من كل لغة أعذبها وأخفها وأكثرها استمالا للعرب كما أرسل النبى صلى الله عليه وسلم الى كل أمة .

ويذكر السيوطى أن الحرفى وابن النقيب ذكرا وقوع غير العربى فى القرآن وأنه لو اجتمع فصحاء العالم وأرادوا أن يتركوا لفظة « استبرق » ويأتوا بلفظ يقوم مقامها فى الفصاحة لعجزوا عن ذلك لأن ما يقوم مقامه اما لفظ واحد أو ألفاظ متعددة ، ولا يجد العربى لفظا واحدا يدل عليه ، لأن الثياب من الحرير عرفها العرب من الفرس ولم يكن لهم بها عهد ولا وضع فى اللغة العربية للديباج التخين اسم ، وانما عربوا ماسمعوا من العجم واستغنوا به عن الوضع لقلة وجوده عندهم وندرة تلفظهم به ، وان ذكره بلفظين أو أكثر يكون قد اخل بالبلاغة .

وقال أبو عبيد القاسم : والصواب عندى مذهب فيه تصديق القولين

=

من يجيز قراءة القرآن العربي المعجز ، ولو جازت القراءة بالترجمة الفارسية لكانت كتب التفسير والمصنفات فى معانى القرآن باللفظ العربى أولى بجواز الصلاة بها ، وهذا لا يقوله أحد (٣٨) .

— ثم يتحدث عن جوانب من اعجاز القرآن الكريم فيقول في باب الحقيقة والمجاز :

« وجاء هذان البابان فى نظوم كتاب الله جل ثناؤه وكذلك ما يجيء بعدهما مما نذكره من سنن العرب لتكون حجة الله جل اسمه عليهم آكد لئلا يقولون : انما عجزنا عن الاتيان بمثله لأنه بغير لغتنا وبغير السنن التى نستنها ، لا بل أنزله جل ثناؤه بالحروف التى يعرفونها ، وبالسنن التى يسلكونها فى أشعارهم ومخاطباتهم ليكون عجزهم عن الاتيان بمثله أظهر وأشهر ، ثم جعله تبارك اسمه أحد دلائل نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ، ثم أعلمهم أن لا سبيل لهم الى معارضته ، وقطع العذر بقوله جل ثناؤه « قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا » (٣٩) .

= جميعا ، وذلك أن هذه الأحرف أصولها أعجمية لكنها وقعت للعرب فعربتها بألسنتها وحولتها عن ألفاظ العجم الى ألفاظها فصارت عربية ، ثم نزل القرآن وقد اختلطت هذه الحروف بكلام العرب ، فمن قال أنها عربية فهو صادق ، ومن قال عجمية فصادق ، والى هذا مال الجواليقى وابن الجوزى وآخرون ، معترك الأقران ١٩٥ وانظر البرهان للزركشى ٢٨٧/١ ، والاتقان ١٢٥/٢ .

(٣٨) الصاحبى ص ٣٠ .

(٣٩) الاسراء ٨٨ وانظر الصاحبى ١٦٩ ، وثلاث رسائل فى اعجاز القرآن ١٣٣ ، والطراز ٣٩٤/٣ — ٤٠٥ واعجاز القرآن للباقلانى ٢٠٩ .

ما جاء فى الصاحبى من أمثلة المجاز العقلى :

يقول ابن فارس : ومن سنن العرب اضافة الفعل الى ما ليس فاعلا فى الحقيقة يقولون : أراد الحائط أن يقع ، وفى كتاب الله « جدارا يريد أن ينقض » (٤٠) .

وهو فى شعر العرب كثير ، قال الشماخ :

أقامت على ربعيهما جارتا صفا   كميتا الأعالى جونتا مصطلاهما (٤١)

فجعل الأثافى مقيمة ، وقال :

وأشعث وراد العداد كأنه   اذا انشق فى جوز الفلاة فليق (٤٢)

يصف طريقا يرد ماء وهو لا ورد له ، ومنه قوله :

كأنى كسوت الرحل أحقب سهوقا   أطاع له من رامتين حديق (٤٣)

---

(٤٠) الكهف ٧٧ ويفهم من كلام أبى حيان أن هذا من المجاز العقلى اذ يقول : اسناد الارادة الى الجدار من المجاز البليغ ، وكثيرا ما يوجد فى كلام العرب اسناد أشياء تكون من أفعال العقلاء الى ما لا يعقل ، وقد ردد الشهاب هذه الآية بين كونها من قبيل الاستعارة أو المجاز المرسل ، وقد ذكرت هناك كل الأقوال فى ذلك ، انظر البيان عند الشهاب ٢/٢٦٥ ، والبحر المحيط ٦/١٥١ ، والبرهان ٢/٢٩١ .

(٤١) الكميت من الخيل ما كان فى لونه حمرة يدخلها سواد غير خالص .

(٤٢) الجوزة السقية ، وجوز كل شىء وسطه ، والفليقة الداهية .

(٤٣) الحقب بالتحريك حبل يشد به الرحل الى بطن البعير مما يلى ثيله كى لا يجتذ به التصدير ، تقول أحقب البعير اذا أصاب حقبه ثيله فاحتبس بوله ، والسهوق الطويل من الرجال والشديدة من الرياح ، ورامة اسم موضع بالبادية ، والحديقة الروضة ذات الشجر .

فجعل الحديق مطيعا لهذا الحمار لما تمكن من رعيه ، والحديق لا طاعة ولا معصية له (٤٤) .

ومما ذكره كذلك من علاقات المجاز المرسل قوله : باب المفعول (٤٥) يأتى بلفظ الفاعل ، تقول : سر كاتم . أى مكتوم ، وفى كتب الله « لا عاصم اليوم من أمر الله (٤٦) » وقوله « من ماء دافق » (٤٧) و « عيشة

---

(٤٤) الصاحبى ١٨٠ .

(٤٥) وقد اتفق ابن فارس مع ابن قتيبة فى هذا الباب فى كثير من الأمثلة انظر تأويل مشكل القرآن ٢٩٦ .

(٤٦) هود ٤٣ ، وللعلماء فى لفظ (عاصم) هنا أقوال أخرى ، فهى عند الزركشى من اقامة صيغة مقام أخرى ، وقال أبو حيان : والظاهر ابقاء عاصم على حقيقته وأنه نفى كل عاصم من أمر الله فى ذلك الوقت ، وجوز ان يكون بمعنى ذى عصمة ، وقال الشهاب : فى ذلك وجوه منها : اضمار المكان أى لا عاصم الا مكان من رحمه الله وهو السفينة وهو وجه حسن ، والعاصم على هذا حقيقة لكن اسناده الى المكان مجازر ، وقيل : أنه مجاز مرسل عن مكان الاعتصام بناء على اسناد الفعل الى المكان اسنادا مجازيا ، والمعنى لا مكان اعتصام الا مكان من رحمه الله ، وأنه أرجح من الكل لأنه ورد جوابا عن قوله (ساوى الى الجبل) ومنطا : لا معصوم الا مكان من رحمة الله وأريد به عصمة من فيه على الكناية ، فان السفينة اذا عصمت عصم من فيها ، وهذا وجه أبداه صاحب الكشف من عنده ، حاشية الشهاب ٥/١٠٠ وانظر البرهان ٢/٢٨٥ والبحر المحيط ٢/٢٧٠ والكشاف ٢/٢٧١ .

(٤٧) الطارق ٦ ، معنى دافق النسبة الى الدفق ، أو الاسناد المجازى والدفق فى الحقيقة لصاحبه ، ولم يقل ماءين لامتزاجهما فى الرحم حين ابتدىء فى خلقة الكشاف ٤/٢٤١ ، وشرح التلخيص ١/٢٣٨ .

راضية » (٤٨) أى مرضى بها ، و « جعلنا حرما آمنا (٤٩) » أى مأمونا فيه ، ويقول الشاعر :

ان البغيض لن يمل حديثه   فانقع فؤادك من حديث الوامق (٥٠)

أى الموموق .

ثم يقول عن أمثلة مما يندرج تحت علاقة الفاعلية : وزعم ناس أن الفاعل يأتى بلفظ المفعول به ويذكرون قوله جل ثناؤه « انه كان وعده

---

(٤٨) الحاقة ٢١ ، والقارعة ٧ ، وفى حاشية الحفنى أصله : رضى المؤمن عيشته ثم أقيم عيشة مقام المؤمن للمشابهة بينهما فى تعلق الفعل وهو الرضى بكل فصار رضيت عيشة وهو فعل للفاعل فاشتق اسم الفاعل منه وأسند الى ضمير المفعول وهو عيشة بعد تقديمه وجعله مبتدأ ثم حذف المضاف اليه اكتفاء بالمبتدأ ، وقرر العدوى : أن الأصل عيشة رضيها صاحبها فالرضا كان بحسب الأصل مسندا للفاعل الحقيقى وهو الصاحب ثم حذف الفاعل وأسند الرضا الى ضمير العيشة ، وقال الفنرى : مذهب الخليل أنه لا مجاز فى هذا التركيب . بل الراضية بمعنى ذات رضا حتى تكون بمعنى مرضية فهو نظير تأمر ، وتكون الباء للمبالغة ، حاشية الدسوقى ١/٣٨ .

(٤٩) العنكبوت ٦٧ ، قال البيضاوى : أى جعلنا بلدهم مصونا من النهب والتعدى آمنا أهله عن القتل والسبى ، وقال الشهاب قوله آمنا أهله اشارة الى أن أمنة كناية لمن أمن أهله ، وهو اسناد مجازى ، أو فيه مضاف مقدر ، حاشية الشهاب ٧/١١٠ .

(٥٠) يقال : نقع من الماء وبالماء روى ، والمراد هنا التمتع بالحديث والشبع منه على التشبيه للحديث بالماء ، والوادق المحب ، .

مأتيا (٥١) أى آتيا ، قال ابن السكيت : ومنه عيش مغبـون ، يريد أنه غابن غير صاحبه ٠

كما يذكر أمثلة من علاقة الزمانية فيقول : ومن سنن العرب وصفه الشىء بما يقع فيه أو يكون منه كقولهم : يوم عاصف ، المعنى عاصف الريح ، قال الله جل ثناؤه « فى يوم عاصف (٥٢) » ٠

فقيل عاصف لأن عصوف ريحه يكون فيه ، ومثله ليل نائم ، وليل ساهر لأنه ينام فيه ويسهر ، قال أوس :

خذلت على ليلـة ساهرة ‌ ‌ ‌ ‌ بصحراء شرج الى ناظره (٥٣)

---

(٥١) مريم ٦١ ، وذكر ابن قتيبة أيضا الآية على أن الفاعل جاء بلفظ المفعول وأنه قايـل ، وذكر الرازى أيضـا هذا الوجه ثم قال : والوجه أن الوعد هو الجنة وهم يأتونها ، قال الزجاج : كل ما وصل اليك فقد وصلت اليه ، وما أتاك فقد أتيته ، والمقصود هنا بيان أن الوعد منه تعالى وان كان بأمر غائب فهو كأنه مشاهد وحاصـل والمراد تقرير ذلك فى القلوب ، التفسير الكبير ٥/٥٥٣ والكشاف ٢/٥١٥ وتأويل مشكل القرآن ٢٩٨ ٠

(٥٢) ابراهيم ١٨ وهذا عند ابن قتيبة مما حـذف فيه الكلمة حيث يقول أراد : فى يوم عاصف الريح فحذف لأن ذكر الريح قد تقدم فكان فيه دليل ، وعند العز : من وصف الزمان بصفة ما يشتمل عليه ويقع فيه حيث وصف اليوم بالعصف وهو صفة للرياح ، كما قال : ويجوز أن يكون من مجاز الحذف ، أى اشتد به الريح فى يوم ذى ريح عاصـف ، وعند الزمخشرى : من المجاز العقلى بعلاقة الزمانية كما يقـول : وقرىء (ويوم عاصف) بالاضافة ، أنظر تأويل مشكل القرآن ٢١٧ ، والاشارة الى الايجاز ٨٤ ، والكشاف ٢/٣٧٢ ٠

(٥٣) شرج الوادى منفسحه ، والشرج بالتسكين مسيل ماء من الحرة الى السهل ، الصاحبى : ١٨٨ ٠

وقال ابن براق :

تقول سليمى لا تعـــرض لتلفـــه   وليلك من ليل الصعاليك نائم

ومثله :

لقد لمتنا يا أم غيلان فى السرى   ونمت وما ليل المطى بنائم (٥٤).

ويقولون : لا يرقد وساده وانما يريدون متوسد الوساد .

وقد ذكر تحت التعويض أيضا أمثلة من المجاز العقلى حيث يقول: ومن ذلك وضعهم فعيلا فى موضع مفعل — بضم الميم — نحو « أمـــر حكيم (٥٥) » بمعنى محكم ، ووضعهم فعيلا فى موضع مفعل — بكسر العين — نحو قوله « عذاب أليم (٥٦) » بمعنى مؤلم .

---

(٥٤) وقد اعترض على تعريف الخطيب للمجاز العقلى بهذا البيت من أن تعريفه غير منعكس لعدم صدقه على نحو ما قام زيد لأنه أدخل فى المجاز العقلى ماهو منفى ، ويوضح ذلك السعد فيقول : وحاصـــل الاشـــكال أن الاسناد أعم من أن يكون على جهة الاثبات أو النفى ، واثبات الفعل لما هو له معناه ظاهر فما معنى نفى الفعل عما هو له عند المتكلم فى الظاهر ؟

وجوابه : أن معناه أنه لو اعتبر الكلام مجردا عن النفى وأدى بصورة الاثبات لكان اسنادا الى ما هو له لأن النفى فرع الاثبات .. وكذا ســـائر الانشائيات مثل أنهارك صائم ؟ المطول ٥٦ ، ٥٧ .

(٥٥) الدخان ٤ ، ويقول الزمخشرى : أمر حكيم كل شـــأن ذى حكمة أى مفعول على ما تقتضيه الحكمة ، وهو من الاسناد المجازى ، لأن الحـــكيم صفة صاحب الأمر على الحقيقة ووصف الأمر به مجاز ، الكشاف ٣/٥٠٠ .

(٥٦) البقرة ١٠ ، يقول الزمخشرى : الألم فى الحقيقة للمؤلم وهذا على طريقة جدجده ، ويقول السيد : أى على طريقة الاسناد المجـــازى ، ولم

ومن ذلك وضعهم مفعولا بمعنى فاعل كقوله جل ثناؤه « حجابا مستورا (٥٧) » أى ساترا ، وقيل مستورا عن العيون كأنه أخذه لا يحس بها أحدا ٠

ومما ذكره وهو من قبيل المجاز العقلى عند الزركشى اضافة الفعل الى من وقع به ذلك الفعل يقولون : ضربت زيدا ، فينسب الضرب الى زيد وهو واقع به ، قال الله تعالى « وآتى المال على حبه (٥٨) » ،

= يرد أنه من قبيل الاسناد الى المصدر الذى أسند اليه ما لفاعله كما فى المثال بعينه بل هو قريب منه كما ترى ، والذى من قبيله ألم أليم ووجع وجيع ، الكشاف بحاشية السيد ١٧٨/١ ، هذا وقد اعترض على الخطيب فى تعريفه للمجاز العقلى بأنه قد خرج من المجاز عند هذا المثال والذى قبله من وصف الشىء يوصف محدثه وصاحبه وكذا ما أسند الى المصدر الذى يلابسه فعل آخر من أفعاله فاعله ؟ وقد أجيب عن ذلك الملابسة أعم من أن يكون بواسطة حرف أو بدونها ، وهذه الصور من قبيل الأول — يعنى بحرف — اذ الأصل هو حكيم فى أسلوبه ، وأليم فى عذابه فيكون مما بنى للفاعل واسند الى المفعول بواسطة ، المطول ٥٨ ٠

(٥٧) الاسراء ٤٥ ، قال الزمخشرى : المراد ذاستر ، كقولهم سيل مفعم أى ذو افعال ، وقيل : هو حجاب لا يرى فهو مستور ، ويجوز أن يراد أنه حجاب من دونه حجاب أو حجب فهو مستور بغيره ، أو حجاب يستر أن يبصر فكيف يبصر المحتجب به ، الكشاف ٤٥٢/٢ ، وانظر البرهان ٢٨٥/٢ والصاحبى ٢٠١ ٠

(٥٨) ١٧٧ البقرة ، قال الزمخشرى أى مع حب المال والشح به قليل على حب الله ، وقيل حب الايتاء أى يعطيه وهو طيب النفس باعطائه وهذا ما قاله الرازى كذلك ، الكشاف ٣٣٠/١ ، والتفسير الكبير ٩٦/٢ ٠

« ويطعمون الطعام على حبه (٥٩) » فالحب فى الظاهر مضـــاف الى الطعام والمال وهو فى الحقيقة لصاحب الطعام وصاحب المال ، ومثلــه « ولمن خاف مقام (٦٠) ـــ ذلك لمن خاف مقامى (٦١) » أى مقامه بين يدى .

ومثله قول طرفة :

* وبرك هجود قد أثارت مخافتى *

فأضاف المخافة الى نفسه وانما المخافة للبرك .

---

(٥٩) الانسان ٩ ، وهى كسابقتها ، انظر الكشاف ٤/٩١٦ .

(٦٠) الرحمن ٤٦ ، وقال الزمخشرى : المراد بالمقام موقفه الذى يقف فيه العباد للحساب يوم القيامة ومثله (ذلك لمن خاف مقامى) ويجوز أن يراد بمقام ربه أن الله قائم عليه أى حـــافظ مهيمن ، من قوله (أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت) وذكر الشهاب أن هذا كناية ، كما ذكر أن قوله (قائم على كل نفس) أى مراقب على أحوالها مشاهد لها فهو مجـــاز لأن القائم عند الشىء عالم به ، أنظر الكشاف ٤/٤٨ ، وحاشية الشـهاب ٨/١٣٧ ، ٥/٢٤٢ .

(٦١) ابراهيم ١٤ وهذه الآية عند الزمخشرى كسابقتها ، وقد ذكر الرازى فى المراد بالمقام وجوها : منها أن المراد موقفى وهو موقف الحساب ومنها أن المراد من خـاف قيـــامى عليه ومراقبتى اياه أو المراد اقامتى على العدل ، أو المراد من خاف مقام العائذ عندى ، وهو من اضافة المصـــدر الى المفعول ، أو المراد من خافنى ، وذكر المقام هنا مثل ما يقال : سـلام الله على المجلس الفلانى ، والمراد سلام الله على فلان ، فكذا هنا ، وعلى هـذا الرأى يكون من قبيل المجاز المرسل باطلاق المقام وارادة ذاته تعالى ، انظر الكشاف ٢/٣٧١ والتفسير الكبير ٥/٢٢٧ ، ٢٢٨ والصاحبى ٢١١ وانظر البرهان ٢/٢٩٢ .

أمثلة التقديم والتأخير فى الصاحبى (٦٢) :

تعرض ابن فارس للكلام عن التقديم والتأخير ومثل لذلك بالكثير من آيات القرآن الكريم ، وكان يقصد من ذلك بيان أن المعنى لا يتضح الا اذا عاد كل جزء مقدم أو مؤخر فى الجملة أو الكلام الى مكانه وعرف موضع التقديم أو التأخير ، لكنه لم يقف عند كل مثال لبيان الغرض البلاغى وراء ذلك •

يقول ابن فارس : ومن سنن العرب تقديم الكلام وهو فى المعنى مؤخر وتأخره وهو فى المعنى مقدم ، كقول ذى الرمة :

* ما بال عينك منها الماء ينسكب *

---

(٦٢) من المعروف ان عبد القاهر قد أشاد بأسلوب التقديم والتأخير وقام بتحليل أمثلته ووقف عندها لبيان الأغراض التى تنطوى عليها والذى يعنينا هنا هو ذكر عبارته فى مدح التقديم حيث يقول : هو باب كثير الفوائد ، جم المحاسن ، واسع التصرف ، بعيد الغاية ، لا يزال يفتر لك عن بديعة ويفضى بك الى لطيفة ، ولا تزال ترى شعرا يروقك مسمعه ، ويلطف لديك موقعه ثم تنظر فتجد سبب أن راقك ولطف عندك أن قدم فيه شىء وحول اللفظ عن مكان الى مكان ، كما يعيب عبد القاهر على من لم يقفوا عند أمثلة التقديم لبيان المغزى والفرض فيقول : واعلم أنا لم نجدهم اعتمدوا فيه شيئا يجرى مجرى الأصل غير العناية والاهتمام ••• والشأن فى أنه ينبغى أن يعرف فى كل شىء قدم فى موضع من الكلام سبب ذلك ووجه العناية ، وقد وقع فى ظنون الناس أنه يكفى أن يقال انه قدم للعناية من غير أن يذكر من أين كانت تلك العناية ، ولتخيلهم ذلك قد صغر أمر التقديم والتأخير فى نفوسهم وهونوا الخطب فيه حتى رأوا تتبعه والنظر فيه ضرب من التكلف ، ولم تر ظنا أزرى بصاحبه من هذا وشبهه ، دلائل الاعجاز ص ٨٢ ، ٨٣ •

أراد ما بال عينك ينسكب منها الماء ، وقد جاء مثل ذلك فى القرآن، قال الله « ولو ترى اذ فزعوا فلا فوت وأخذوا من مكان قريب (٦٣) »

تأويله والله أعلم ولو ترى اذ فزعوا وأخذوا من مكان قريب فلا فوت ، لأن لا فوت يكون بعد الأخذ .

ومن ذلك قوله جل ثناؤه « هل أتاك حديث الغاشية (٦٤) — يعنى

---

(٦٣) سبأ ٥١ هذا ولم يتعرض الرازى لبيان التقديم فى الآية وقد ذكر الزمخشرى الوجوه البلاغية الأخرى فى هذه الأية فقال : لو ترى جوابه محذوف يعنى لرأيت أمرا عظيما وحالا هائلة ، ولو واذ والأفعال التى هى فزعوا وأخذوا حيل بينهم كلها للمضى المراد بها الاستقبال لأن ما الله فاعله فى المستقبل بمنزلة ما قد كان لتحققه ، ووقت الفزع وقت البعث وقيام الساعة ، وقيل وقت الموت ، وقيل يوم بدر ، والأخذ من مكان قريب من الموقف الى النار أو من ظهر الأرض الى باطنها عند الموت أو من صحراء بدر الى القليب ، أو من تحت أقدامهم اذا خسف بهم ، وفى عطف أخذوا وجهان : العطف على (فزعوا) أى فزعوا وأخذوا فلا فوت ، وهذا يكون على التقديم ، أو على لافوت على معنى اذا فزعوا فلم يفوتوا واخذوا الكشاف ٣/٢٩٦ ، والتفسير الكبير ٢٧/٧ وتأويل مشكل القرآن ٣٣٠ .

(٦٤) الغاشية ١ ـ ٣ ، وما ذكره ابن فارس هنا هو أحد وجوه ثلاثة فى هذه الآيات أما الوجهان الآخران فهما : ان هذه الأعمال كلها والصفات التى وصفوا بها حاصلة فى الآخرة لأنهم يكونون يوم القيامة ذليلين لتكبرهم فى الدنيا عن عبادة الله ويعملون فى النار بجر السلاسل والأغلال ، أو أن هذه الأمور بأسرها حاصلة فى الدنيا والمعنى أن أصحاب الصوامع وعبدة الأوثان خشعت لله ونصبت فى أعمالها من الصوم وغيره ولما اعتقدوا فى الله مالا يليق به فكأنهم فى الحقيقة ما عبدوا الله وانما عبدوا ذلك المتخيل الذى لا وجود له فلم تنفعهم العبادة ، التفسير الكبير ٣٨٦/٨ .

القيامة — وجوه يومئذ خاشعة » وذلك يوم القيامة ثم قال « عاملـــة ناصبة » والعمل والنصب يكونان في الدنيا فكأنه اذا على التقـــديم والتأخير معناه : وجوه عاملة ناصبة في الدنيا يومئذ — أي يوم القيامة — خاشعة ، والدليل على ذلك قوله « وجوه يومئذ ناعمة » .

ومنه قوله « فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم انما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا (٦٥) » المعنى : لا تعجبك أموالهم ولا أولادهم في الحياة الدنيا ، وكذلك قوله « فألقه اليهم ثم تول عنهم فانظر مـاذا يرجعون (٦٦) » .

---

(٦٥) التـــوبة ٥٥ وما ذكره من التقديم هنا نقله ابن قتيبه عن ابن عباس في معنى الآية ، ولم يرتض الرازى القـول بالتقـديم والتأخير في الآية حيث قال : ان النحويين قدروا في الآية محذوفا كأنه قيل : انما يريد الله أن يملي لهم فيها ليعذبهم ويجوز أيضـا ان يكون هذا اللام بمعنى أن ، وقال وعلى القول بالتقديم والتأخير يرد سؤال هو أن الولد والمال لا يكونان عذابا ومن ثم يلزم القائلين بالتقديم تقدير حذف في الكلام بأن يقولوا أراد التعذيب بها من حيث كانت سببا للعذاب ، واذا قالوا ذلك فقد استغنوا عن التقديم والتأخير لأنه يصح أن يقال : يريد الله أن يعذبهم بها في الدنيا من حيث كانت سـببا للعذاب ، وأيضـا فلو انه قال : فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم في الحياة الدنيا لم يكن لهذه الزيادة كثير فائدة ، لأن من المعلوم أن الاعجاب بالمال والولد لا يكون الا في الدنيا وليس كذلك حال العـذاب فانها قد تكون في الدنيا كما تكون في الآخرة فثبت أن القـول بالتقديم والتأخير ليس بشيء ، التفسير الكبير ٤٥٢/٤ ، وتأويل مشكل القرآن ٢٠٨

(٦٦) النمل ٢٨ ، وقد ذكر السيد أن هذا أحد الوجـوه في الآية ، ولها محمـــل آخر لا قلب فيه وهو أن المعنى ثم تول عنهم الى مكان قريب تتوارى فيه بحيث تسمع كلامهم لتنظر أي جواب يردون ، والنـكتة في القلب : طلب المسارعة في المراجعة حتى كأنه يرجع قبل أن يسمع الجواب المصباح ٢٢٩/١ والكشاف ٢٨٦/٣ .

معناه : فألقه اليهم فانظر ماذا يرجعون ثم تول عنهم .

ومن ذلك « ان الذين كفروا ينادون لمقت الله أكبر من مقتكم أنفسكم اذ تدعون الى الايمان فتكفرون (٦٧) » تأويلــــه : لمقت الله اياكم فى الدنيا حين دعيتم الى الأيمان فكفرتم ومقته اياكم اليوم أكبر من مقتكم أنفسكم اليوم اذا دعيتم الى الحساب ، وعند ندمكم على ما كان منكم ومنه قوله « ولولا كلمة سبقت من ربك لكان لزاما وأجل مسمى (٦٨) » فأجل معطوف على (كلمة) التأويل : ولولا كلمة سبقت من ربك وأجل مسمى — أراد الأجل المضروب لهم وهى الساعة — لكان العذاب لازما لهم .

المعــانى التى ذكرها ابن فارس الخبر

يقول : المعاني التى يحتملها لفظ الخبر كثيرة : ومنها التمنى نحو : وددتك عندنا .

والانكار : ما له على حق ، والنفى : لا بأس عليك ، والأمر نحــو

---

(٦٧) غافر ١٠ ، وقال الرازى : فى الآية حذف وفيها أيضــا تقديم وتأخير أما الحذف فتقديره لمقت الله اياكم ، وقدر التقديم كما ذكره ابن فارس هنا ثم قال وفى تفسير مقتهم أنفسهم وجوه : منها أنهم اذا شاهدوا القيامة والجنة والنار مقتوا أنفسهم على اصرارهم على التكذيب بهذه الأشياء ومنها : أن الأتباع يشــتد مقتهم للرؤســاء الذين دعوهم للكفر فى الدنيا والرؤساء أيضا كذلك فعبر عن مقت بعضهم بعضــا بأنهم مقتوا أنفســهم التفسير الكبير ٢٨٩/٧ والكشاف ٤١٦/٣ .

(٦٨) طه ١٢٩ وبذلك قال ابن قتيبة وكذا الرازى تأويل مشــــكل القرآن ٢٠٩ ، والتفسير الكبير ٨٢/٦ ، والصاحبى ٢٠٨ ، ٢٠٩ .

قوله جل ثناؤه « والمطلقات يتربصن (٦٩) » والنهي نحو قوله « لا يمسه الا المطهرون (٧٠) » ٠

والتعظيم : سبحان الله ، والدعاء : عفا الله (٦٩) ، والوعد نحو قوله جل ثناؤه « سنريهم آياتنا فى الآفاق (٧١) » والوعيد نحو

---

(٦٩) البقرة ٢٢٨ ، والآية عند الزمخشرى أيضا من قبيل الأمر حيث يذكر أن الأخبار عنهن بالتربص خبر فى معنى الأمر ، وأصل الكلام وليتربص المطلقات ، واخراج الأمر صورة الخبر تأكيد للأمر واشعار بأنه مما يجب أن يتلقى بالمساعة الى امتثاله فكأنهن امتثلن الأمر بالتربص فهو يخبر عنه موجودا ، ونحوه قولهم فى الدعاء (رحمك الله ، أخرج فى صورة الخبر ثقة بالاستجابة كأنما وجدت الرحمة فهو يخبر عنها ، وبناؤه على المبتدأ مما زاده أيضا فضل تأكيد ولو قال : ويتربص المطلقات لم يكن بتلك الوكادة . الكشاف ٣٦٥/١ والتفسير الكبير ٢٤٣/٢ ٠

(٧٠) الواقعة ٧٩ ، وقال الزمخشرى المعنى أنه لا ينبغى أن يمسه الا ما هو على الطهارة ، ونحوه قوله صلى الله عليه وسلم (المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه) أى لا ينبغى له أن يظلمه ، وقال الرازى : الصيغة اخبار لكن الخلاف فى أنه هل هو بمعنى النهى كما أن قوله (والمطلقات يتربصن) اخبار بمعنى الأمر ؟ فمن قال : المراد من الكتاب اللوح المحفوظ وهو الأصح ـ قال هو اخبار معنى كما هو اخبار لفظا اذا قلنا أن المضمر فى يمسه للكتاب ، ومن قال : المراد المصحف اختلف فى قوله ، وفيه وجه ضعيف نقله ابن عطيه أنه نهى لفظا ومعنى وجلبت اليه ضمة الهاء لا للاعراب ولا وجه له ، انظر الكشاف ٥٩/٤ والتفسير الكبير ٧٢/٨ ٠

(٧١) فصلت ٥٣ ، وانظر التفسير الكبير ٣٦٩/٧ وفى كلام الكشاف ما يفيد معنى الوعد اذ المراد ما تيسر للنبى صلى الله عليه وسلم من فتوحات وكذا ما سيأتى من نشر دعوة الاسلام فى أقطار المعمورة وبسط دولته فى أقاصيها ، راجع الكشاف ٤٥٨/٣ ٠

« وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون » (٧٢) •

والانكار والتبكيت نحو « ذق انك أنت العزيز الكريم » (٧٣) وقد جاء فى الشعر مثله قال شاعر يهجو جريرا :

ابلغ جريرا وابلغ من يبلغـــه   أنى الأعز وانى زهرة اليمن

فقال جرير مبكتا له :

ألم تكن فى وسوم قد وسمت بها   من حان موعظة يا زهرة اليمن

ثم يقول : وربما كان اللفظ خبرا والمعنى شرط وجزاء نحو قوله « انا كاشفوا العذاب قليلا انكم عائدون (٧٤) » فظاهره خبر ، والمعنى:

---

(٧٢) الشعراء ٢٢٧ ، والآية عند الزمخشرى تفيد شدة للوعيد اذ يقول ختم الســــورة بآية ناطقة بما لا شيء أهيب منه وأهول ، ولا أنكى لقلوب المتأملين ولا أصدع لأكياد المتدبرين وذلك قوله (وســـيعلم) وما فيه من الوعيد البليغ ، وقوله (الذين ظلوا) واطلاقه ، وقوله (أى منقاب ينقلبون) وابهامه ، وقرأ ابن عبــاس (أى منقلب ينفلتون) معنــاها أن الذين ظلموا يطمعون أن ينفلتوا من عذاب الله وسيعلمون أن ليس لهم وجه من وجــوه الانفلات وهو النجاه ، الكشاف ١٤٣/٣ •

(٧٣) الدخان ٤٩ ، والمراد بها عند الزمخشرى الهزء والتهـــكم بمن كان يتعزز ويتكرم على قومه ، ويذكر الرازى أن فى الآية وجوها : الأول أنه يخاطب بذلك على سبيل الاستهزاء والمراد انك أنت بالضد منه ، والثانى : أن أبا جهل قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما بين جبليها أعز ولا أكرم منى فو الله ما تستطيع أنت ولا ربك أن تفعلا بى شـــيئا ، والثالث : انك كنت ـــ لا بالله فانظر ما وقعت فيه ، وقرىء أنك بالفتح ـ بمعنى لأنك ، الكشاف ٥٠٧/٣ ، والتفسير الكبير ٤٥٧/٧ •

(٧٤) الدخان ١٥ وما ذكره كل من الزمخشرى والرازى يفيــد معنى الشرط والجزاء انظر الكشاف ٥٠٢/٣ والتفسير الكبير ٤٥١/٧ •

انا ان نكشف عنكم العذاب فعودوا ، ومثله « الطـــلاق مرتان (٧٥) » المعنى : من طلق امرأته مرتين فليمسكها بعدهما بمعروف أو يسرحهـا باحسان (٧٦) » .

ثم قال أيضا : ويكون اللفظ خبرا والمعنى دعاء أو طلبا ، وقـــد مر فى الجملة ونحوه « اياك نعبد واياك نستعين (٧٧) » معناه فأعنا على عبادتك ، ويقول القائل : استغفر الله ، والمعنى اغفر ، قال الله جـــل ثناؤه (لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم) (٧٨) .

ويقول الشاعر :

---

(٧٥) البقرة ٢٠ وما قاله الرازى هنا مخالف لما ذكره ابن فارس لأنه يقول هذا الكلام وان كان لفظه لفظ الخبر الا أن معناه هو الأمر ، أى طلقو مرتين ، يعنى دفعتين ، وانما وقع العدول عن لفظ الأمر الى لفظ الخبر لما ذكر فيما تقدم أن التعبير عن الأمر بلفظ الخبر يفيد تأكيد معنى الأمر فثبت أن هذه الآية دالة على الأمر بتفريق الطلقات وعلى التشديد فى ذلك الأمر والمبالغة فيه التفسير الكبير ٢٤٧/٢

(٧٦) الصاحبى ١٠٥ ، ١٥١ .

(٧٧) الفاتحة ٤ ، وما ذكره الزمخشرى يفيد أن الكلام متضمن لمعنى الدعاء لقوله : والمعنى نخصك بالعبادة ونخصك بطلب العون ، الكشـاف ٦٢/١ .

(٧٨) يوسف ٩٢ ، لاتثريب أى لا تأنيب عليكم ولا عتب وأصــــل التثريب الشحم الذى هو غاشـــيه الكرش ، ومعناه : ازاله الثرب لأنه اذا ذهب كان ذلك فى غاية الهزال فضرب مثلا للتقريع الذى يمزق الأعراض ويذهب بماء الوجوه ، ومعنى « يغفر الله لكم » دعاء لهم بمغفرة ما فرط منهم او هو بشارة بعاجل غفران الله لما تجدد يومئذ من توبتهم وندمهم على خطئهم انظر الكشاف ٣٤٢/٢ .

أستغفر الله ذنبا لست محصيه   رب العباد اليه الوجه والعمل

ما ذكره مما يفيد معنى التفخيم :

فى كلام ابن فارس عن « ما » قال أنها تكون للتفخيم كقوله جل ثناؤه « الحاقة ما الحاقة (٧٩) » ومنه قوله :

يا جارتا ما أنت جارة (٨٠)   بانت لتحزننا عفارة

ويقول عن « نعم » أنها كلمة تنبىء عن المحاسن كلها (٨١)

ما ذكره فى باب الانشاء : — يتكلم عن خروج الاستفهام عن حقيقته فيذكر أن (أى) تستعمل بمعنى التعجب نحو أى رجل هذا !(٨٢)

ومن المعانى المجازية التى ذكرها للاستفهام كلامه عن المعانى التى

---

(٧٩) الحاقة ١ ، ويذكر البعض « أن الآية من قبيل التكرير للتأكيد . ويذكر الزمخشرى أن معنى ما الحاقة ؟ ما هى ، أى أى شىء هى تفخيما لشأنها وتعظيما لهولها فوضع الظاهر موضع المضمر لأنه أهول لها والمعروف أن البلاغيين ، قد جعلوا أن من دواعى تعريف المسند اليه بالموصلية افادة التفخيم كقوله تعالى (فغشيهم من اليم ما غشيهم) ٧٩ طه . ويوضح الزمخشرى هذه الآية بقوله أنها من باب الاختصار ومن جوامع الكلم التى تستقل مع قلتها بالمعانى الكثيرة ، أى غشيهم مالا يعلم كنهة الا الله ، انظر الكشاف ١٤٩/٤ ، ٥٤٧/٣ والايضاح ٣٦/١ .

(٨٠) الصاحبى ١٤٢ أى أنها أفخم واعظم من أن تكون مجرد جارة له

(٨١) نفس المرجع ١٤٦ .

(٨٢) الصاحبى ١١٣ وهذا المثال من خروج الاستفهام عن حقيقته الى معنى مجازى هو التعجب .

تستعمل فيها « كيف » حيث يذكر أن لها ثلاثة أوجه : أحدها سؤال محض عن حال ، والآخر حال لا سؤال معه كقولك لأكرمنك كيف كنت •

والوجه الثالث : كونها بمعنى التعجيب (٨٣) وعلى هذين الوجهين يفسر قوله « فقتل كيف قدر (٨٤) » قالوا معناها : على أى حال قدر ؟ وتعجيب أيضا •

ومن التعجيب قوله جل ثناؤه « كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم (٨٥) » •

---

(٨٣) التعجب فى كلام تعالى معناها التعجيب أي حمل القارئ أو السامع على التعجب مما ينبغي أن يتعجب منه وليس التعجب مقصودا لذاته وانما يقصد به ما يترتب عليه ، معجم الفاظ القرآن الكريم ٢٦٤ •

(٨٤) المدثر ١٩ ويقول الزمخشرى فى الآية ان هذا العجيب من تقديره واصابته المحز ورميه الفرض الذى كانت تنتحيه قريش ، أو ثناء عليه على طريق الاستهزاء به ، أو هى حكاية لما قدروه من قولهم : قتل كيف قدر؟ تهكما بهم وباعجابهم بتقديره واستعظامهم لقوله ، الكشاف ١٨٣/٤ •

(٨٥) البقرة ٢٨ وهى عند الزمخشرى انكار وتعجب أى أتكفرون بالله ومعكم ما يصرف عن الكفر ويدعو الى الايمان ؟ ونظيره : أنطير بغير جناح؟ فان قلت : ان هذا القول انكار للطيران لأنه مستحيل بغير جناح وأما الكفر فغير مستحيل مع ما ذكره من الاماتة والأحياء ؟ قلت قد أخرج فى صورة المستحيل لما قوى من الصارف عن الكفر والداعى الى الايمان فان قلت : فقد تبين أمر الهمزة وانها لانكار الفعل والايذان باستحالته فى نفسه أو لقوة الصارف عنه فما نقول في كيف حيث كان انكار للحال التى يقع على كفرهم قلت : حال الشيء تابعه لذاته فاذا امتنع ثبوت الذات تبعة امتناع ثبوت الحال ، فكان انكار حال الكفر لأنها تبيع ذات الكفر ورديفها انكارا لذات الكفر وثباتها على طريق الكتابة ، وذلك أقوى لانكار الكفر وأبلغ ، وتحريره =

كما قال : وقد يكون كيف بمعنى النفى قال :

كيف يرجون سـقاطى بعدما   لاح فى الرأس مشيب وصلع (٨٦)؟

ويذكر ابن فارس أن من التعجب أيضا قـول الله « كيف يكـون للمشركين عهد عند الله (٨٧) » وقوله « كيف يهدى الله قوما كفروا بعد ايمانهم (٨٨)» .

=

أنه اذا أنكر أن يكون لكفرهم حال يوجد عليها وقد علم أن كل موجود لا ينفك عن حال وصفه عند وجوده ، ومحال أن يوجد بغير صفة من الصفات كان انكار الوجود على الطريق البرهانى هنا هو معنى قول عبد القاهر : وقد تكون الهمزة اذ يراد انكار الفعل من صله ثم يخرج اللفظ مخرجه اذا كان الانـكار فى الفعل فى صورة انكار فاعله أو مفعوله أو ظرفه ، انظر الكشاف ٢٦٩/١ ، ودلائل الاعجاز ٨٧ وذهب الأمير الى أن الاستفهام فى الآية اما للتعجيب أو للانكار والتوبيخ ، حاشية الأمير على المغنى ١٧٣/١ والايضاح ١٤٣/١ .

(٨٦) البيت من قصيدة لسويد بن أبى كاهل مطلعها (بسطت رابعة الحيل لنا) ومعنى ساقطى أى عثرتى وزلتى ، فهو ينفى أن يزل بعد هذا السن المفضليات ١٩٩ . .

(٨٧) التوبة ٨ ويذكر الزمخشرى أن كيف هنا اسـتفهام فى معنى الاستنكار والاستبعاد لأن يكون للمشركين عهد عند رسول الله صـلى الله عليه وسلم وهم أضداد وغرة صدورهم ، يعنى محال أن يثبت لهؤلاء عهد ، الكشاف ١٧٦/٢ .

(٨٨) آل عمران ٨٦ ، والمفهوم من كلام الزمخشرى أن الاسـتفهام هنا يراد به الاستبعاد حيث يقول : كيف يلطف بهم وليسوا من أهل اللطف لما علم من تصميمهم على كفرهم حيث كفروا بعد ايمانهم وبعد ما شهدوا أن الرسول حق وبعدما جاءتهم الشواهد الكشاف ٤٤٢/١ .

كما ذكر أن « كيف » تكون توبيخا كقوله جل ثناؤه « **كيف تكفرون** وأنتم تتلى عليكم آيات الله (٨٩) » .

كما تفيد التوكيد لما تقدم من خبر وتحقيق لما بعده كقوله جل ثناؤه « **فكيف اذا جئنا من كل أمة بشهيد** (٩٠) » على تأويل : ان الله لا يظلم مثقال ذرة فى الدنيا فكيف فى الآخرة (٩١) .

ويتكلم عن خروج النداء عن معناه متمثلا فى « يا » حيث يقول أن « يا » تكون للنداء ، وتكون للتعجب كقولهم : يا له فارسا ، وفى التعجب

---

(٨٩) آل عمران ١٠١ ، ويذهب الزمخشرى على أن معنى الاستفهام هنا هو الانكار والتعجب والمعنى : من يتطرق اليكم الكفر والحال أن القرآن يتلى عليكم وبين أظهركم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والمعروف أن الانكار متضمن لمعانى التوبيخ الذى ذكره ابن فارس فى الآية انظر الكشاف ١/٤٥٠ .

(٩٠) النساء ٤١ ، والمفهوم من عبارة الزمخشرى هو التعجب اذ يقول : فكيف يصنع هؤلاء الكفرة من اليهود وغيرهم ، وعند ابن هشام أن كيف هنا وقعت حالا قبل ما يستغنى وأنهما فى هذا النوع كالآية هنا تأتى مفعولا مطلقا أيضا ، اذا المعنى : فكيف اذا جئنا من كل أمة بشهيد يصنعون ، ثم حذف عاملها مؤخرا عنها وعن اذا كذا قيل ، والأظهر أن يقدر بين كيف واذا ، وتقدر اذا حاليه عن معنى الشرط ، وقال الرازى : من عادة العرب أنهم يقولون فى الشىء الذى يتوقعونه كيف بك اذا كان كذا واذا فعل فلان كذا واذا جاء وقت كذا ، فمعنى هذا الكلام كيف ترون يوم القيامة اذا استشهد الله على كل أمة برسولها واستشهدك على هؤلاء ؟ الكشاف ١/٥٢٧ ، ومغنى اللبيب ١/١٧٤ ، والتفسير الكبير ٣/ ٢٢٤ .

(٩١) الصاحبى ١٣٠ .

من المذموم ، يا له جاهلا ، وللتلهف والتأسف كقـوله « يا حسرة على العباد (٩٢) » .

ويكون تنبيها : يا شاعرا لا شاعر اليوم مثله (٩٣) .

وتكون للتلذذ مثل : يا بردها على الفؤاد لو يقف (٩٤) .

---

(٩٢) يس ٣٠ ويقول الزمخشرى هذا نداء للحسرة عليهم كأنما قيل لها : تعالى ياحسرة فهذه من أحوالك التى حقك أن تحضرى فيها وهى حال استهزائهم بالرسل ، المعنى أنهم أحقاء بأن يتحسر عليهم المتحسرون ويتلهف على حـــالهم المتلهفون ، أوهم متحسر عليهم من جهة الملائكة والمؤمنين من الثقلين ، ويجوز أن يكون من الله تعالى على سـبيل الاسـتعارة فى معنى تعظيم ماجنوه على أنفسهم ومحنتوها به وفرط انكاره له وتعجبه منه ، وهو نفس ما قال البيضاوى ، ويوضح الشهاب هذا فيقول : نداء الحسرة مجاز بتنزيلها منزلة العقلاء ، وقوله يتلهف على حالهم معناه أن التحسر وقع من هؤلاء والمراد شدة حسرانهم حتى استحقوا أن يتحسر عليهم أهل الثقلين ومعنى أن التحسر من الله على سبيل الاستعارة هو أن يشبه حال العباد بحال من يتحسر عليه الله فرضا فيقول يا حسرة على عبادى فالنـــداء للحسرة تعجب منه والمقصود تعظيم جناياتهم ــ الكشاف ٣/٣٢٠ وحاشية الشهاب على البيضاوى ٧/٢٣٨ .

(٩٣) قال ابن هشـــام : اذا ولى « يا » ماليس بمنادى كالفعل فى قوله : ألا يا أسـقيانى ، والحـرف فى نحـو ياليتنى كنت معهم والجملة الاسمية كقوله يالعنة الله ، فقيل هى للنداء ، والمنادى محذوف ، وقيل هى لمجرد التنبيه لئلا يلزم الاجحاف بحذف الجملة كلها ، وقال ابن مالك : أن وليها دعاء أو أمر فهى للنداء لكثرة وقوع النداء قبلها نحو يا آدم اسكن ، يانوح أهبط والا فهى للتنبيه ، مغنى اللبيب ٢/٤١ هـ .

(٩٤) الصاحبى ١٤٨ ، ١٤٩ .

وفي كلامه عن الاستفهام يوضح الفرق بين الاستخبار والاستفهام نقلا عن غيره ثم يذكر بعد ذلك المعانى التي يخرج الاستخبار عن حقيقته اليها فيقول :

وجملة باب الاستخبار أن يكون ظاهره موافقا لباطنه كسؤالك عما لا تعلمه .

ويكون استخبارا في اللفظ والمعنى تعجب نحو « ما أصحاب الميمنة (٩٥) » وقد يسمى هذا تفخيما ، ومنه قوله « ماذا يستعجل منه المجرمون (٩٦) » تفخيم للعذاب الذى يستعجلونه .

ويكون استخبارا والمعنى توبيخ ، نحو « أذهبتم طيباتكم (٩٧) » ومنه قوله :

---

(٩٥) الواقعة ٨ ، وما ذكره ابن فارس هو نفس ما ذكره الزمخشري انظر الكشاف ٤/٥٢ .

(٩٦) يونس ٥٠ ، والمعنى عند الزمخشري أن العذاب كله مكروه فأى شيء يستعجلون منه وليس شيء منه يوجب الاستعجال ، ويجوز أن يكون معناه التعجب كأنه قيل : أى شيء هول شديد يستعجلون منه ، ويجوز أن يكون جوابا للشرط كقولك : ان أتيتك ماذا تطعمني ؟ وأن يكون (أثم اذا ما وقع) جواب الشرط و (ماذا يستعجل) اعتراضا والمعنى : ان أتاكم عذابه آمنتم به بعد وقوعه حين لا ينفعكم الايمان ، الكشاف ٢/٢٤٠ .

(٩٧) الأحقاف ٢٠ ، وجوز الرازى هنا أن يكون هذا الكلام استفهاما وأن يكون بلفظ الخبر على أن المعنى ان كل ما قدر لكم من الراحات والطيبات قد استوفيتموه في الدنيا فلم يبق لكم شيء ويقول : وانما وبخ الله الكافر لأنه يتمتع بالدنيا ولم يؤد شكر المنعم بطاعته ، التفسير الكبير ٧/٤٩٣ .

أغـــررتنى وزعمـــت أنــــ   ك لابن بالصـــــيف تامــر ؟

ويكون اللفظ استخبارا والمعنى تفجع نحو (ما لهذا الكتاب لايغادر صغيرة ولا كبيرة (٩٨)) •

ويكون استخبارا والمعنى تبكيت نحو « أأنت قلت للناس (٩٩) » • تبكيت للنصارى فيما ادعوه •

ويكون استخبارا والمعنى تقرير نحو قوله جل ثناؤه « ألســـت بربكم (١٠٠) » •

ويكون استخبارا والمعنى تسوية نحو « سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم (١٠١) » •

---

(٩٨) الكهف ٤٩ •

(٩٩) المائدة ١١٦ وذكر الرازى أن الاستفهام هنا على سبيل الانكار وخوطب عيسى بذلك مع علمه تعالى بأنه لم يقله توبيخا للنـــاصرى وتقريعا لهم ، التفسير ٣/٤٧٢ •

(١٠٠) الأعراف ١٧٢ وما ذكره موافق لمـــا قاله الزمخشرى الا انه يضـــيف ان هذا على ســـبيل التمثيل والتخييل ومعنى ذلك انه نصب لهم الأدلة على وحدانيته وشهدت بها عقولهم التى ركبها فيهم فكأنه أشـــهدهم على أنفسهم وقررهم وكأنهم قالوا بلى أنت ربنا شهدنا على أنفسنا وأقررنا، الكشاف ٢/١٢٩ ، وانظر التفسير الكبير ٤/٣١٢ •

(١٠١) البقرة ٦ ، ويوافق الزمخشرى ابن فـــارس فى كون الآيـة للتسوية ويقول : والهمزة وام مجردتان لمعنى الاستواء وقد انسلخ عنهما معنى الاستفهام رأسا ، قال سيبويه : جرى هذا على حرف الاســتفهام كما جرى على حرف النداء قولك : اللهم اغفر لنا أيتها العصابة ، يعنى أن هذا

=

ويكون استخبارا والمعنى اشترت ونحو « أتجعل فيها من يفسد فيها (١٠٢) » .

=
جرى على صورة الاستفهام كما أن ذلك جرى على صورة النداء ولا نداء ، ويوضح هذا السيد بقوله : وتقريره ان هاتين الكلمتين قد زال عنهما الدلالة على أحد الأمرين وصارتا لمجرد معنى الاستواء ، فان اللفظ الحاصل لمعنيين قد يجرد لأحدهما ويستعمل فيه وحده كما فى صيغة النداء فانها كانت للاختصاص الندائى فجردت لمطلق الاختصاص ، وفى هذه الآية كما خولف لفظ الفعل وأريد به الحدث مضافا الى فاعله فصح الكلام وزال كونهما لأحد الأمرين ، وأن هاتين الكلمتين يدلان على الاستفهام واستواء الأمرين فى العلم بالوقوع وبصحبته أيضا فنقلتا الى مجرد استوائهما فى صحة الوقوع من غير استفهام واعتبار علم وأخبر عنهما بسواء على أنه مقيد بعدم النفع او بما يجرى مجراه مما يناسب المقام ، الكشاف بحاشية السيد ١/١٥٢ .

(١٠٢) البقرة ٣٠ ، وذكر الزمخشرى أن الاستفهام تعجب من أن يستخلف مكان أهل الطاعة أهل المعصية وهو الحكيم ، وذكر الرازى وجوها من التعجب من كمال علم الله تعالى ، أو قالوا ذلك طلبا للجواب ، أو أن سؤالهم كان على وجه المبالغة فى اعظام الله تعالى فان العبد المخلص لشدة حبه لمولاه يكره أن يكون له عبد يعصيه ، أو أنهم طلبوا الحكمة التى من أجلها خلقهم مع هذا الفساد والقتل ، ومنها ما قاله القفال من أنه يحتمل أن الله تعالى لما أخبرهم أنه يجعل فى الأرض خليفة قالوا اتجعل فيها أى ستفعل ذلك ، فهو ايجاب خرج مخرج الاستفهام قال جرير : الستم خير من ركب المطايا .. الخ . أى أنت كذلك ولو كان استفهاما لم يكن مدحا ثم قالت الملائكة انك تفعل ذلك ونحن مع هذا نسبح بحمدك ونقدس لك لما أنا نعلم فى الجملة أنك لا تفعل الا الصواب ، الكشاف ١/٢٧١ ، والتفسير الكبير ١/٢٥٣ .

ويكون استخبارا والمعنى انكار نحو « اتقولون على الله ما لا تعلمون (١٠٣) » .

ومنه قول القائل :

وتقــــول عــزة قد مللت ... فقل لها أيمل شيء نفسه فأملها ؟

ويكون اللفظ استخبارا والمعنى عرض كقولك : ألا تنزل ؟

أو تخصيص نحو : هلا خيرا من ذلك ؟ ومنه :

* بني ضوطرى لولا الكمى المقنعا *

ويكون استخبارا والمراد به الافهام كقوله « وما تلك بيمينك يا موسى (١٠٤) »

قد علم الله أن لها أمرا قد خفى على موسى عليه السلام فأعلمه من حالها ما لم يعلمه .

ويكون استخبارا والمعنى تكثير نحو قوله جل ثناؤه « وكم من قرية أهلكناها (١٠٥) » .

وقوله « وكأين من قرية (١٠٦) » ومثله :

---

(١٠٣) الاعراف ٢٨ وهى عند الزمخشرى للانكار كذلك ، الكشاف ٧٥/٢ .

(١٠٤) طه ١٧ وانما سأله تعالى ليريه عظم ما يخترعه تعالى فى الخشبه اليابسة وليقرر فى نفس المباينة البعيدة بين المقلوب عنه والمقلوب اليه وينبه على قدرته الباهرة انظر الكشاف ٥٣٣/٢ .

(١٠٥) الأعراف ٤ ، الصاحبى ١٥٢ ، ١٥٣ والتكثير دل عليه كم وكأين ، انظر شروح التلخيص ٢٨٥/٢ .

(١٠٦) الحج ٤٨ وانظر معجم ألفاظ القرآن الكريم ٢٧٨ .

كم من دنىٍّ لها قد صرت أتبعه   ولو صحا القلب عنها كان لى تبعا (١٠٧)

وقال آخر :

وكم من غائط من دون سلمى   قليل الانس ليس به كتيع (١٠٨)

ويكون استخبارا والمعنى نفى قال الله جل ثناؤه (فمن يهدى من أضل الله (١٠٩)) .

فظاهرة استخبار والمعنى لا هادى لمن أضل الله ، والدليل على ذلك قوله فى العطف « وما لهم من ناصرين » .

ومما جاء فى الشعر منه قول الفرزدق :

أين الذين بهم تسامى دارما   أم من الى سلفى طوية تجعل ؟

ومنه قوله جل ثناؤه « أفأنت تنقذ من فى النار (١١٠) » أى لست منقـــذهم .

وقد يكون اللفظ استخبارا والمعنى اخبار وتحقيق نحو قوله جـل

---

(١٠٨) الدنى هنا بمعنى القريب وهو غير مهموز ، وأما ما كان بمعنى الدون فهو مهموز .

(١٠٨) يقال ما بالدار كتيع أى أحد ،

(١٠٩) الروم ٢٩ ، وانظر الكشاف ٣/٢٢٢ .

(١١٠) الزمر ١٩ ، وهذا على سبيل التمثيل حيث نزل استحقاقهم العذاب وهم فى الدنيا منزلة دخولهم النار حتى نزل اجتهاد رسول الله صلى الله عليه وسلم وكده نفسه فى دعائهم الى الايمان منزلة انقاذهم من النار ، والمراد أن الله وحده هو الذى يقدر على الانقاذ دون غيره ، الكشاف ٣/٢٩٣ ، وانظر دلائل الاعجاز ٩٠ .

ثناؤه « هل أتى على الانسان حين من الدهر (١١١) » قالوا معناه قد أتى .

ويكون تعجبا كقوله جل ثناؤه « عم يتساءلون (١١٢) — لأى يوم أجلت (١١٣) » .

ثم يقول : ومن دقيق باب الاستفهام أن يوضع فى الشرط وهو فى الحقيقة للجزاء وذلك كقول القائل : ان أكرمتك تكرمنى ، المعنى : أتكرمنى ان أكرمتك ؟ قال الله جل ثناؤه « أفان مت فهم الخالدون (١١٤) » تأويل الكلام أفهم الخالدون ان مت ؟ ، ومثله « أفان مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم (١١٥) » .

---

(١١١) الانسان ١ ، يقول الزمخشرى : هل بمعنى قد فى الاستفهام خاصة والأصل أهل فالمعنى : أقد أتى ؟ على التقرير والتقريب جميعا ، أى أتى على الانسان قبل زمان قريب الكشاف ٤/١٩٤ .

(١١٢) النبأ ، ويذكر الزمخشرى أن معنى هذا الاستفهام تفخيم الشأن كأنه قال : عن أى شىء يتساءلون ونحو « ما » فى قولك : زيد مازيد جعلته لانقطاع قرينه وعدم نظيره كأنه شىء خفى عليك جنسه فأنت تسأل عن جنسه وتفحص عن جوهره كما تقول : ما الغول وما العنقاء ؟ الكشاف ٤/٢٠٦ .

(١١٣) المرسلات ١٢ وهى عند الزمخشرى لتعظيم اليوم وتعجيب من هوله كما ذكر ابن فارس ، الكشاف ٤/٢٠٣ والصاحبى ١٥٤ وانظر تأويل مشكل القرآن ٢٧٩ .

(١١٤) الأنبياء ٣٤ ، وانظر الكشاف ٢/٥٧١ ، والتفسير الكبير ٦/١٠٣ .

(١١٥) آل عمران ١٤٤ ، ويذكر الزمخشرى أن الهمزة لانكار أن يجعلوا خلو الرسل قبله سببا لانقلابهم على اعقابهم بعد هلاكه بموت أو

=

تأويله : أفتنقلبون على أعقابكم ان مات ؟

ويذكر أن العرب تحذف ألف الاستفهام كقول ابراهيم عليه السلام (هذا ربى) أى أهذا ربى (١١٦) .

خروج الأمر عن معناه :

بعد أن بين معنى الأمر وصيغه الدالة عليه تحدث عن خروجه عن معناه فقال : فأما المعانى التى يحتملها لفظ الأمر :

فأن يكون أمرا والمعنى مسألة نحو : اللهم اغفرلى ، قال :

ما مسها من نقب ولا دبر   اغفر له اللهم ان كان فجر (١١٧)

وأن يكون وعيدا نحو قوله جل ثناؤه « فتمتعوا فسوف

= قتل مع علمهم ان خلو الرسل قبله وبقاء دينهم متمسكا به يجب أن يجعل سببا للتمسك بدين محمد لا للانقلاب عنه،الكشاف ٤٦٨/١ ، وماذكره ابن فارس هنا هو نفس ما ذكره الرازى فى معنى الاستفهام ، انظر التفسير الكبير ٥٩/٣ .

(١١٦) الأنعام ٧٦ ، وقد ذكر الرازى فى هذا وجوها منها : أن المعنى هذا ربى فى زعمكم ، أو المراد منه الاستفهام على سبيل الانكار الا أنه أسقط حرف الاستفهام استغناء عنه لدلالة الكلام عليه ، أو يكون ابراهيم عليه السلام قال ذلك على سبيل الاستهزاء كما تقول لذليل ساد قومه : هذا سيدكم على سبيل الاستهزاء ، التفسير الكبير ٧٦/٤ ، ٧٧ .

(١١٧) هذا معنى ما قاله عمر للأعرابى الذى شكا اليه نقب ابله ،

تعلمون (١١٨) » ومثله « اعملوا ما شئتم (١١٩) » ومنه قول عبيد :

حتى سقيناهم بكأس مرة فيها المثمل ناقعا فليشربوا (١٢٠)

ومن الوعيد قوله :

اروو على وارضوا بي رحالكم واستسمعوا يابني ميناء انشادي (١٢١)

وقد جاء في الحديث : اذا لم تستح فاصنع ما شئت ، أي ان الله مجازيك ، قال الشاعر :

قال الشاعر :

اذا لم تحسن عاقبة الليالي ولم تستحي فاصنع ما تشاء

أو يكون تسليما نحو قوله جل ثناؤه « فاقض ما أنت قاض (١٢٢) »

---

(١١٨) النحل ٥٥ ، وهذا عند الزمخشري مراد به الوعيد أيضا ، انظر الكشاف ٢/٤١٤ .

(١١٩) فصلت ٤٠ ، يقول الرازي الآية تهديد كما يقول الملك عند الغضب يعاقب بعض عبيده اعملوا ما شئتم ، التفسير الكبير ٧/٣٦٣ وهي كذلك في تاويل مشكل القرآن ٢٨٠ .

(١٢٠) الثمال بضم الثاء والمثمل السم المنقع كأنه انقع فبقي وثبت ، الصحاح « ثمل » .

(١٢١) يقال رويت على أهلي ، أي استقيت لهم ، وأرضوا بي رحالكم كناية عن التواضع .

(١٢٢) طه ٧٢ ، وما ذكره ابن فارس هو معنى ما قاله الرازي من أنهم لما علموا أنهم متى أصروا على الايمان فعل فرعون ما أوعدهم به فقالوا اقض لا على معنى انهم أمروه بذلك لكن اظهروا أن ذلك الوعيد لا يزيلهم البتة عن ايمانهم وعما عرفوه من الحق ، التفسير الكبير ٦/٥٦ .

كما يكون تكوينا كقوله « كونوا قردة (١٢٣) » وهذا لا يجوز الا من الله جل ثناؤه •

ويكون أمرا وهو ندب كقوله « فانتشروا فى الأرض (١٢٤) » ومثله:

* فقلت لراعيها انتشر وتبقل *

كما يكون تعجيزا « فانفذوا لا تنفذون الا بسلطان (١٢٥) » ، ومثله :

خل الطريق لمن يبنى المنار بها وابرز ببرزة حيث اضطرك القدر

ويكون أمرا وهو تعجب : نحو قوله « أسمع بهم (١٢٦) » ، قال :

أحسن بها خلة لو أنها صدقت موعودها ولو أن النصح مقبول (١٢٧)

---

(١٢٣) البقرة ٦٥ ، هذا عند الزمخشرى يفيد الصغار والطرد وذكر الرازى أن المراد بالأمر سرعة التكوين ، التفسير الكبير ٣٧٣/١ والكشاف ٢٨٦/١ •

(١٢٤) الجمعة ١٠ ، وانظر الكشاف ١٩٦/٤ ، وبذلك قال ابن قتيبة ، تأويل مشكل القرآن ٢٨٠ •

(١٢٥) الرحمن ٣٣ ، والمراد أن استطعتم أن تهربوا من قضائى وتخرجوا من ملكوتى فافعلوا ، انظر الكشاف ٤٧/٤ ، والتفسير الكبير ٢٢/٨ •

(١٢٦) مريم ٣٨ ، والمراد أن أبصارهم وأسماعهم يومئذ جدير بأن يتعجب منهما بعد ما كانوا صما وعميا فى الدنيا ، وقيل معناه التهديد بما سيسمعون ويبصرون مما يسوءهم ويصدع قلوبهم ، الكشاف ٥٠٩/٢ ، والصاحبى ١٥٤ ـ ١٥٦ •

(١٢٧) البيت لكعب بن زهير من قصيدته فى مدح النبى صلى الله عليه وسلم (بانت سعاد •• الخ) •

ويكون أمرا وهو تمن : تقول لشخص تراه كن فلانا

ويكون اللفظ أمرا والمعنى تلهيف وتحسير كقـول القـائل : مت بغيظك ، ومت بدائك ، وفى كتاب الله « قل موتوا بغيظكم (١٢٨) » ، ثم قال جرير :

موتوا من الغم غيظا فى جزيرتكم لن تقطعوا بطن واد دونه مضر

ويكون أمرا والمعنى خبر ، كقوله جل ثناؤه « فليضحكوا قليـلا وليبكوا كثيرا (١٢٩) » .

المعنى : أنهم سيضحكون قليلا ويبكون كثيرا .

ثم يبين أن الدعاء والطلب يكونان لمن فوق الداعى ، وأن العرض والتحضيض متقاربان الا أن العرض أرفق ، والتحضيض أعزم ، وذلك قولك فى العرض ألا تنزل ؟ وفى الاغراء والحث قولك : ألم يأن لك أن تطيعنى ؟ ..

---

(١٢٨) آل عمـران ١١٩ ، والذى عند الزمخشرى والرازى أن هـذا دعاء عليهم بأن يزداد غيظهم حتى يهلكوا به ، والمراد : ازدياد ما يوجب لهم ذلك الغيظ من قوة الاسـلام وعزة أهله وما لهم فى ذلك من الخزى ، الكشاف ٤٥٩/١ والتفسير الكبير ٣٨/٣ .

(١٢٩) التوبة ٨٢ ، يقول الرازى كابن فارس : هذا وان ورد بصيغة الأمر الا أن معناه الاخبار بأنه ستحصل هذه الحالة بدليل قوله (جزاء بما كانوا يكسبون) وكان حزنهم كثيرا فى الآخرة لأنه عقـاب دائم لا ينقطع ، التفسير الكبير ٤٨١/٤ .

وفى كتاب الله « ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكـــر الله (١٣٠) » •

ويتحدث عن خروج « لولا » عن معناها فيقول : وربما كان تأويلها النفى كقوله « لولا يأتون عليهم بسلطان بين (١٣١) » المعنى : اتخذوا من دونه آلهة لا يأتون عليهم بسلطان بين •

وعن كون التمنى من قبيل الاخبار أولا يقول : قولك وددتك ، قاله قوم هو من الاخبار لأن معناه ليس ، اذ قال قائل ليت لى مالا فمعناه : ليس لى مال ، وآخرون يقولون : لو كان خبرا لجاز تصديق قائلـــه أو تكذيبه ، وأهل العربية مختلفون فيه على هذين الوجهين (١٣٢) •

وفى كلامه عن التعجب يذكر ان منه قوله تعالى « فما أصـــبرهم على النار (١٣٣) »ثم يقول وقيل ان معنى هذا : ما الذى أصـــبرهم ،

---

(١٣٠) الحديد ١٦ ، عن ابن مسعود أن الله اســتبطأ قلوب المؤمنين فعاتبهم ، ويجوز أن يكون نهيا لهم عن مماثلة أهل الكتاب فى قسوة القلوب بعد أن وبخوا ، الكشاف ٦٤/٤ •

(١٣١) الكهف ١٥ وقـــال الزمخشرى والرازى ان المعنى هلا يأتون عليهم بسلطان بين أى بحجة بينة ، كما أن هذا تبكيت لأن الاتيان بالسلطان على عبادة الأوثان محال ، الكشاف ٤٧٤/٢ •

(١٣٢) الصاحبى ١٥٧ ، ١٥٨ •

(١٣٣) البقرة ١٧٥ ويوضح الشهاب ذلك فيقول : ان الصبر هنا مجـاز عن الجـراءة على أسـباب العقوبة وهو من بليغ الكلام ، وعن قول الأعرابى ما أجرأك على الله ، يقول هذا تصور مجاز بصورة حقيقية لأن ذاك معناه ما أصبرك على عذاب الله فى تقديرك اذا اجترأت على ارتـــكاب ذلك ، والى ذلك يعود قول من قال ما أبقاهم عـلى النار ؟ وقول من قال : ما أعملهم بعمل أهل النار : ويصح أن يكون استعارة تمثيلية ، ويجوز فيه وجه آخر =

وآخرون يقولون : ما أجرأهم ، قال : وسمعت أعرابيا يقول لآخر : ما أصبرك على الله ، أى ما أجرأك عليه ؟

« صور الاخراج على خلاف مقتضى الظاهر »

التعبير عن المستقبل بالماضي وعكسه :

تحدث ابن فارس عن استعمال المستقبل في الماضي للدلالة على تحققه فيقول : « اذ » تكون للماضي تقول أتذكر اذ فعلت كذا ؟ فأما قوله جل ثناؤه « ولو ترى اذ وقفوا على النار فقالوا ياليتنا (١٣٤) » فترى مستقبل واذ الماضي وانما كان كذا لأن الشيء كائن وان لم يكن بعد ، وذلك عند الله جل ثناؤه قد كان لأن علمه سابق وقضاؤه به نافذ فهو كائن لا محالة ، والعرب تقول مثل ذا وان لم تعرف العواقب قال :

ستندم اذ يأتي عليك دعيلنا ... بأرعن جرار كثير صواهله

=

وهو أن تكون ما استفهامية قصد بها التوبيخ ، حاشية الشهاب ٢٦٩/٢ وانظر الكشاف ٣٢٩/١ ، واعجاز القرآن للباقلانى ٨٠ .

(١٣٤) الأنعام ٢٧ ، ومنه الآية عند البلاغيين من شواهد توجيه الخطاب الى غير معين ليعيد العموم للقصد الى تفظيع حالهم وأنها تناهت فى الظهور حتى امتنع خفاؤها فلا تختص بها رؤية راء بل كل من يتأتى منه رؤية داخل في هذا الخطاب ، كما يستشهد بها على حذف جواب لو للتهويل حيث قدره الزمخشري بقوله : لرأيت أمرا شنيعا ، ومعنى (وقفوا على النار) أروها حتى يعاينوها ، أو أطلعوا عليها اطلاعا هى تحتهم ، أو أدخلوها فعرفوا مقدار عذابها ، الكشاف ١٢/٢ وانظر الايضاح ٣٥/١ ومغنى اللبيب ٧٥/١ وانظر الاشارة الى الايجاز ٣٨ .

ثم يقول : وآخرون يقولون : ان اذ واذا بمعنى واحد كقوله جـل ثناؤه « ولو ترى اذ فزعوا » (١٣٥) ٠

وفى موضع آخر يذكر أن الفعل يأتى بلفظ الماضى وهو راهـن أو مستقبل ، وبلفظ المستقبل وهو ماض ، قال الله جل ثناؤه (كنتم خـير أمة (١٣٦) » أى أنتم ٠

---

(١٣٥) سبأ ٥١ ، ويقول الزمخشرى ان لو واذ والافعـال التى هى فزعوا وخنوا وحيل بينهم كلها للمضى والمراد بها الاسـتقبال لأن ما الله فاعله فى المسـتقبل بمنزلة ما قد كان ووجد لتحققـه ، الكشاف ٣/٢٩٦ ويجعل السيد نحو هذا من باب الاستعارة حيث يقول : اعلم أن التعبير عن الماضى بالمضارع وعكسه يعد من باب الاستعارة بأن يشبه غير الحاصـل بالحاصل فى تحقيق الوقوع ، ويشبه الماضى بالحاضر فى كونه نصب العين واجب المشاهدة ثم يستعار لفظ أحدهما للآخر حاشية السـيد على المطول ٣٧٥ باب الاستعارة كما ذكر السيد أو من قبيل المجاز المرسل والعـلاقة ما بينهما من التضاد فبينهما شبه المجاورة لتقارنها غالبا فى الخيال الا أنه يضعف هذا الرأى بأنه يقتضى انتفاء المبالغة المقصـودة وهى الاشـعار بتحقيق الوقوع لأن المجاز المرسل ليس فيه الا أبلغية كون التعبـير فيه لما كانت الدلالة فيه انتقالية صار كدعوى الشىء بدليلة ، وردد الدسـوقى نفس كلام المغربى مع بعض التوضيحات ، انظر شروح التلخيص ١/٤٨٥ ، ٤٨٤ والاشارة الى الايجاز ٣٨ ٠

(١٣٦) آل عمران ١١٠ ، ذكر ابن قتيبة أن الآية من قبيل العام الذى يراد به الخـاص ، وقال الرازى ان كان هنا تامة بمعنى الوقوع والحدوث أى وجدتم وخلقتم خير أمة وخير أمة بمعنى الحال وهو قول جميع المفسرين ، واذا كانت ناقصة فهذا يوهم بأنهم كانوا موصوفين بهذه الصفة وأنهم مابقوا الآن عليها ، وذكر لذلك سبع أجوبة منها : كنتم فى علم الله ، أو كنتم فى =

وقـــال : « أتى أمـــر اللـــه (١٣٧) » أى يـأتى ، ويجىء، بلفظ المستقبل وهو فى المعنى ماض ، قال الشاعر :

ولقد أمر على اللئيم يسبنى فمضيت عنه وقلت لا يعننى (١٣٨)،

فقال أمر ثم قال مضيت ، وقال :

وما أضحى ولا أمســـيت الا رأونى منهم فى كـــوفان

وفى كتاب الله فلم تقتلون أنبياء الله من قبل (١٣٩) » وقـــال : « واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان (١٤٠) » أى ما تلت ، وقال آخر :

وندمان يزيد الكأس طيبـــا سقيت اذا تغـــورت النجوم

ومثله « وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه قل فلـــم

=

الامم السابقة مذكورين عندهم كذلك ، أو كنتم فى اللوح المحفوظ ، أو كنتم منذ آمنتم ، أو هذا مخصوص بقوم معينين من أصحاب الرسول صـــلى الله عليه وسلم ، وقيل كان هنا زائدة وقيل ، ذكرت للتاكيد ووقوع الأمر محالة ولم يرتض ذلك ابن الأنبارى ، التفســـير الكبير ٢٦/٣ وانظر الكشـــاف ٤٥٤/١ وتأويل مشكل القرآن ٢٨١ .

(١٣٧) النحل ١ ، وانظر تأويل مشكل القرآن ٢٩٥ ، وفى الاشارة الى الايجاز أن أتى تحتمل أيضا أن تكون بمعنى قرب ، ص ٣٨ ، والكشاف ٤٠٠/٢ والبرهان ٣٧٢/٣ .

(١٣٨) يقول السيد المعنى ولقد مررت لكنه عدل الى أمر للاستمرار والبيت شاهد على المعرف الذى عومل معاملة المنكر ، المصـــباح ١٢٣/١ والاشارة الى الايجاز ٣٨ .

(١٣٩) البقرة ٩١ ، والآية من التعبير بالمستقبل عن الماضى ، .

(١٤٠) البقرة ١٠٢ والآية عند العز من التعبير بالمستقبل عن الماضى كذلك انظر الاشارة الى الايجاز ص ٣٨ .

يعذبكم بذنوبكم (١٤١) » المعنى : فلم عذب آباءكم بالمسخ والقتـــل لأن النبى صلى الله عليه وسلم لم يؤمر بأن يحتج عليهم بشىء لم يكن لأن الجاحد يقول : انى لا أعذب لكن احتج عليه بما قد كان •

خروج « كان » عن النفى الى معان أخرى :

يقول ابن فارس انها تكون بمعنى القدرة كقــوله جــل ثنـــاؤه « ما كان لكم أن تنبتوا شجرها (١٤٢) » أى ما قدرتم •

وتكون بمعنى صار (١٤٣) مثــل : ان كنت أبى فصــلنى ، أى اذا صرت أبى ، وتكون بمعنى ينبغى قال الله « قلتم ما يكون لنا (١٤٤) » أى ما ينبغى لنا (١٤٥) •

---

(١٤١) المائدة ١٨ ونفس ما ذكره ابن فارس فى المعنى هنا هو بعينه ماذكره الرازى ، التفسير الكبير ٢/٣٨٦ ، والصــــاحبى ١٨٧ والبرهان ٣/٣٧٣ •

(١٤٢) النمل ٦٠ ويذكر السـيوطى أن كان فى الآية بمعنى ينبغى مثل ما بعدها هنا ، الاتقان ٢/٢٥٧ وقال الزمخشرى أن معنى « الكينونة » هنا الانبغاء ، أراد أن تأتى ذلك محـــال من غيره وهو موافق لما ذكره ابن فارس فى الآية ، والكشاف ٣/١٥٥ •

(١٤٣) انظر معجم الفاظ القرآن الكريم ٢٥٤ •

(١٤٤) النور ١٦ ، وما ذكره ابن فارس فى هذه الآية هو معنى ما ذكره الزمخشرى حيث يقول : « يكون » معناه معنى ينبغى ويصح أى ما ينبغى لنا أن نتكلم بهذا وما يصح لنا ونحوه قوله تعـــالى (ما يكون لى أن اقول ماليس لى بحق ، الكشاف ٣/٥٥ •

(١٤٥) الصاحبى ١٣٢ •

ومن ألوان المجاز التى ذكرها وتدخل فى اقامة صيغة مقام أخرى ما أورده فى باب التعويض بقوله : هو اقامة الكلمة مقام الكلمة فيقيمون الفعل الماضى مقام الراهن كقوله جل ثناؤه « قال سننظر أصدقت أم كنت من الكاذبين (١٤٦) » المعنى أم أنت من الكاذبين •

ومن ذلك اقامة المصدر مقام الأمر كقوله « فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون (١٤٧) » والسبحة الصلاة ، يقولون سبحة الضحى ، فتأويل الآية سبحوا لله جل ثناؤه فصار فى معنى الأمر والاغراء كقول الله « فضرب الرقاب (١٤٨) » •

ومن ذلك اقامة الفاعل مقام المصدر كقوله جل ثناؤه « بأيكم المفتون (٤٩) أى الفتنة ، يقولون : ما له معقول ولا مجلود ، يريدون • العقل والجلد ، ومنه « ان أخا المجلود من صبرا » •

---

(١٤٦) النمل ٢٧ يقول الزمخشرى : اراد : صدقت ام كذبت الا ان كنت من الكاذبين ابلغ الكشاف ١٤٥/٣ ،

(١٤٧) الروم ١٧ قال الزمخشرى : والمراد بالتسبيح ظاهره ، وقيل الصلاة ، وعلى الثانى يكون من قبيل المجاز المرسل باطلاق الجزء وهو التسبيح على الكل وهو الصلاة الى جانب ان المصدر بمعنى الأمر ، الكشاف ٢١٧/٣ •

(١٤٨) محمد عليه السلام ، يقول الزمخشرى : اصله فاضربوا الرقاب ضربا فحذف الفعل وقدم المصدر فأنيب منابه مضافا الى المفعول وفيه اختصار مع اعطاء معنى التوكيد ، وفى الرقاب مجاز مرسل عن القتل ، انظر الكشاف ٥٣٠/٣ •

(١٤٩) القلم ٦ ، وهى كذلك عند الزركشى وفى الكشاف : المفتون المجنون لأنه فتن اى محن بالجنون والباء مزيدة ، او المفتون مصدر كالمعقول والمجلود ، وهو تعريض بأبى جهل والوليد بن المغيرة ، البرهان ٢٨٧/٢ ، والكشاف ١٤١/٤ •

ومن ذلك اقامة المصدر مقام الفعل ، قال كعب :

يسعى الوشاة حواليها وقيلهم   انك يا ابن أبي سلمى لمقتول

تأويله يقولون واذلك نصب .

ومن ذلك اقامة الفعل مقام الحال كقوله « يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك تبتغي مرضاة أزواجك (١٥٠) » أى مبتغيا .

وفي باب الشرط يتحدث عن خروج الشرط عن معناه الى المجاز فيقول :

أنه على ضربين ، شرط واجب اعماله (ويقصد به ما جـــاء على حقيقته) .

« والشرط الآخر مذكور الا انه غير معزوم عليه ولا محتوم ، مثل قوله « فلا جناح عليهما أن يتراجعا ان ظنا أن يقيما حدود الله (١٥١) »

فقوله (ان ظنا) شرط لاطلاق المراجعة فلو كان محتوما مفروضا لما جاز لهما أن يتراجعا الا بعد الظن أن يقيما حدود الله فالشرط ها هنا كالمجاز غير المعزوم ، ومثله قوله « فذكر ان نفعت الذكرى (١٥٢) » لأن

---

(١٥٠) التحريم ١ وما ذكره ابن فارس أحد الوجوه ويحتمل أن يكون وتبتغى كذلك تفســيرا أو اســتئنافا ، انظر الكشــاف ١٢٥/٤ ، والصاحبى ٢٠٠ .

(١٥١) البقرة ٢٣٠ وانظر التفسير الكبير ٢٩٢/٢ ، ٢٥٣ .

(١٥٢) الأعلى ، ٢٩ وهذا أحد وجهين فى الكشــاف حيث يقول الزمخشرى فى بيــان هذا الوجه : ان ظاهره شرط ومعناه ذم للمذكرين واخبار عن حالهم واستبعاد لتأثير الذكرى فيهم وتســجيلا عليهم بالطبع على قلوبهم كمــا نقول للواعظ عظ المكاســين ان سـمعوا منك قاصــدا بهذا الشرط استبعاد ذلك وأنه لن يكون الكشاف ٢٤٤/٤ والصاحبى ٢١٨

الأمر بالتذكير واقع فى وقت ، والتذكير واجب نفع أو لم ينفع ، فقد يكون بعض الشروط مجازا .

كلام ابن فارس عن التغليب *

فى كيفية وضع اللغة ، يبين معنى تعليم الله الأسماء لآدم مستدلا بقول ابن عباس رضى الله عنه : أن الله علمه الأسماء كلها وهى هذه التى يتعارفها الناس ، ويورد اعتراضا من بعض العلماء لو كانت الأسماء كلها علمت لآدم لقال تعالى « ثم عرضهن أو عرضها » لكنه لما قال « عرضهم » (١٥٣) علم أن ذلك لأعيان بنى آدم أو الملائكة لأنه يقال لما يعقل عرضهم ولما لا يعقل عرضهم أو عرضهن ؟

ويجيب ابن فارس عن ذلك مستعينا بأسلوب التغليب فيقول : انما قال (عرضهم) لأنه جمع ما يعقل وما لا يعقل فغلب ما يعقل ، وهى سنة من سنن العرب أعنى « باب التغليب » وذلك كقوله جل ثناؤه « والله خلق كل دابة من ماء فمنهم من يمشى على بطنه ومنهم من يمشى على رجلين

(*) حقيقته اعطاء الشيء حكم غيره ، وقيل : ترجيح أحد المغلوبين على الآخر أو اطلاق لفظه عليهما اجراء للمختلفين مجرى المتفقين ، هذا وقد وضحت موقف التغليب من الحقيقة والمجاز فى كتابى البيان عند الشهاب القسم الثانى ص ٤٨٦ ، والغالب من التغليب أن يراعى الأشرف ولذا قالوا فى تثنية الأب والأم أبوان ، البرهان ٣/٣٠٢ ، ٣١٢ .

(١٥٣) البقرة ٣١ وهى عند الزمخشرى من باب التغليب كذلك الكشاف ١/٢٧٢ والتفسير الكبير ١/٢٥٨ .

ومنهم من يمشى على أربع (١٥٤) فقال منهم تغليبا لمن يمشى على رجلين وهم بنو آدم •

ـ وفى موضع آخر يورد أمثلة من التغليب وذلك فى باب مايجرى من غير ابن آدم مجرى بنى آدم فى الأخبار عنه حيث يقول : من سنن الرب أن تجرى الموات وما لا يعقل فى بعض الكلام مجرى بنى آدم ، فيقولون فى جمع أرض (أرضون) ويتعدون هذا إلى أكثر منه فيقول الجعدى :

تمززتها والديك يدعو صباحه
اذا ما بنو نعش دنوا فتصوبوا (١٥٥)

---

(١٥٤) النور ٤٥ ، وهى عند الزركشى من تغليب العاقل على غيره ، وقال : لما تقدم لفظ الدابة والمراد بها عموم من يعقل ومن لا يعقل غلب من يعقل ومن لا يعقل غلب من يعقل فقال فمنهم ، فان قيل هذا صحيح فى (فمنهم) لأنه لمن يعقل وهو راجع الى الجميع فلم قال (من) وهو لايقع على العام بل خاص بالعاقل ؟

قلت (من) هنا بعض هم ، وهو ضمير من يعقل ، ولذا قال أبو عثمان : انه تغليب من غير عموم لفظ متقدم فهو بمنزلة من يقول : رأيت ثلاثة زيدا وعمرا وحمارا ، وقال ابن الصائغ (هم) لا تقع الا على من يعقل فلما أفاد الضمير على كل دابة غلب من يعقل فقال هم و (من) بعض هذا الضمير وهو للعاقل فلزم أن يقول (من) فلما قال بوقوع التغليب فى الضمير صار ما يقع عليه حكمه حكم العاقلين فتمم ذلك بأن أوقع من • البرهان ٣/٣٠٥ والصاحبى ص ٥ ، هذا ويذكر السكاكى أن التغليب باب واسع يجرى فى فنون كثيرة ، ١١٦ المفتاح والمطول ١٥٨ •

(١٥٥) بنات نعش الكبرى سبعة كواكب ، أربعة منها نعش وثلاث بنات وكذلك بنات نعش الصغرى ، وقد غلب الشاعر هنا الذكور على الأناث وفى قوله : والديك يدعو صباحه ، استعارة بالكناية على تشبيه الصباح بمن يصح أن يدعى فيستجيب •

وقال الله جل ذكره (فى فلك يسبحون) (١٥٦) و (لقد علمت ما هؤلاء ينطقون) (١٥٧) و (انى رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لى ساجدين) (١٥٨) وأكثر من قول النابغة قول القائل :

اذا أشرف الديك يدعو بعض أسرته
الى الصباح وهم قوم معازيل (١٥٩)

فجعه له أسرة وسماهم قوما (١٦٠) .

— ومما يمكن أن يدخل فى هذا الباب ما ذكره فى باب الحمل بقوله :

هذا باب يترك ظاهر لفظه لأنه محمول على معناه ، يقولون : ثلاثة أنفس ، والنفس مؤنثة ، لأنهم حملوه على الانسان ، وفى كتاب

---

(١٥٦) الأنبياء ٣٣ ، وقال الرازى انما جعل واو الضمير للعقلاء للوصف بفعل العقلاء وهو السباحة ، ويقول الزمخشرى : الضمير للشمس والقمر والمراد بهما جنس الطوالع كل يوم وليلة جعلوها متكاثرة لتكاثر مطالعها ، هذا ويقال ان الكواكب مما يعقل فلذا جمعت جمع من يعقل ، انظر التفسير الكبير ١٠٢/٦ والكشاف ٥٧١/٢ .

(١٥٨) الأنبياء ٦٥ وذكر الزركشى فى هذه الآية والتى قبلها والتى بعدها أنه لما أخبر عن هذه الأشياء بإخبار الآدميين جر ضميرها على حد من يعقل ، البرهان ٣٠٦/٣ .

(١٥٩) التغليب هنا فى التعبير عنهم بالضمير (هم) لما أجرهم مجرى العقلاء ولكن الواضح فى هذا البيت أن يكون استعارة بالكناية على استعارة الأسرة والقوم للدجاج ، الصاحبى ٢١٢ .

الله جل ثناؤه « السماء منفطر به » (١٦٠) جمل على السقف ، وهذا يتسع جدا ، وقد ذكر في هذا الباب ما تقدم من « مستهزئون . الله يستهزىء » (١٦١) وهذا في باب المحازاة أحسن ، ومن الباب قوله « سعيرا — والسعير مذكر ، ثم قال — اذا رأتهم » (١٦٢) فحمله على النار ، وقوله « وأحيينا به بلدة ميتا » (١٦٣) حمله على المكان ، ولهذا نظائر كثيرة .

الالتفات في الصاحبي (١٦٥) :

تحدث ابن فارس عن صور من الالتفات في باب تحويل الخطاب من المشاهد الى الغائب حيث يقول :

العرب تخاطب الشاهد ثم تحول الخطاب الى الغائب كقول النابغة :

---

(١٦١) المزمل ١٨ وذكر الزمخشري : أن هذا وصف لليوم بالشدة وأن السماء على عظمها واحكامها تنفطر فيه فما ظنك بغيرها ، أو على تأويل السماء بالسقف كما ذكر ابن فارس ، أو على السماء شيء منفطر ، الكشاف ٤/١٧٨ .

(١٦٢ البقرة ١٤ ، ١٥ وستأتي في المشاكلة .

(١٦٣) الفرقان ١٢ ، يقول الزمخشري (رأتهم) من قولهم دورهم تتراى وتتناظر ، كأن بعضها يرى بعضا على سبيل المجاز والمعنى اذا كانت منهم بمرأى الناظر في البعد سمعوا صوت غليانها ، ويجوز أن يراد اذا رأتهم زبانيتها تغيظوا غضبا ، وقال أحمد لا حاجة الى حمل هذا على المجاز فان رؤية جهنم جائزة على أن الله يخلق لها ادراكا ، الكشاف والانصاف ٣/٨٣ .

(١٦٤) ق ١١ ، والصاحبي ٢١٤ .

يا دار مية ، بالعلياء فالسند
أقوت وطال عليها سالف الأبد (٦٦)

فخاطب ثم قال : أقوت ، وفى كتاب الله جل ثناؤه « حتى اذا كنتم فى الفلك وجرين بهم » (١٦٧) وقال « وما أتيتم من زكاة تريدون وجه الله فأولئك هم المضعفون » وقال « ولكن الله حبب اليكم لايمان —

---

(١٦٦) وضحت موقع الالتفات من حيث الحقيقة أو المجاز وموقعه من علوم البلاغة فى القسم الثانى من البيان عند الشهاب ص ٥١٥ ، والمعروف أن هناك خلافا فى معنى الالتفات بين الجمهور والسكاكى لأنه عند الجمهور التعبير عن معنى بطريق من الطرق الثلاثة التكلم والخطاب والغيبة بعد التعبير عنه بآخر بشرط أن يكون التعبير الثانى على خلاف مقتضى الظاهر ويكون مقتضى الظاهر سوق الكلام أن يعبر عنه بغير هذا الطريق ليفيد تطرئة نشاط المخاطب وايقاظ اصغائه ، أما الالتفات عند السكاكى فهو أعم لأن النقل عنده أعم من أن يكون قد عبر عن معنى بطريق من الطرق الثلاثة فكل التفات عند الجمهور التفات عند السكاكى من غير عكس . المطول ١٣١ وقال حازم فى منهاج البلغاء وهم يسأمون الاستمرار على ضمير متكلم أو ضمير مخاطب فينتقلون من الخطاب الى الغيبة وأيضا يتلاعب المتكلم بضميره فتارة يجعله تاءعلى جهة الاخبار عن نفسه ، وتارة يجعله كافا فيجعل نفسه مخاطبا وتالة يقيم نفسه مقام الغائب ، انظر البرهان ٣/٣١٤ (٢) فقد انتقل من الخطاب الى الغيبة .

(١٦٧) يونس ٢٢ فقد انتقل من الخطاب فى (كنتم) الى الغيبة فى (جرين) وفائدة ذلك تعجبه من فعلهم وكفرهم ، البرهان ٣/٣١٨ والايضاح ١/٧٢ .

(١٦٨) الروم ٣٩ فانتقل من الخطاب فى (آتيتم) الى الغيبة فى (هم المضعفون) ويقول الزمخشرى : هذا التفات حسن كأنه قال للملائكته وخواص خلقه فأولئك الذين يريدون وجه الله بصدقاتهم هم المضعفون فهو =

وقال فى آخر الآية ـ فأولئك هم الراشدون » (١٦٩) .

ومنه قوله :

اسيئى بنا أو احسنى لا ملومة   لدينا ولا مقلية ان تقلت (١٧٠)

كما تحدث عن الالتفات أيضا فى باب تحويل الخطاب من الغائب الى الشاهد » .

وقد يجعلون خطاب الغائب للشاهد ، قال الهزلى :

ياويح نفسى كان جده خالد   وبياض وجهك للتراب الأعفر (١٧١)

فخبر عن خالد ثم واجه فقال : وبياض وجهك ، ومنه :

شطت مزار العاشقين فأصبحت   عسرا على طلابك ابنة مخرم (١٧٢)

كما يذكر فى باب مخاطبة المخاطب ثم يجعل الخطاب لغيره » .

=

أمدح لهم من أن يقول فأنتم المضعفون ، وفى الآية وجه آخر وهو أن يكون تقديره : فمؤتوه ولئك هم المضعفون والحذف لما فى الكلام من الدليل عليه وهذا أسهل مأخذا والأول أملأ بالفائدة ، الكشاف ٢٢٤/٣ .

(١٦٩) الحجرات ٧ ، وانظر البرهان ٣١٩/٣ ، والكشاف ٥٦١/٣

(١٧٠) فانتقل من الخطاب فى أسيئى الى الغيبة فى تقلت ، والجدير بالذكر أن هذه الأمثلة هى نفس الأمثلة التى ذكرها ابن قتيبة ماعدا بيت كثير عزة هذا .

(١٧١) فانتقل من الغيبة فى (كان جده خالد) الى الخطاب فى (بياض وجهك) انظر تأويل مشكل القرآن ٢٨٩ .

(١٧٢) فقد انتقل من الغيبة فى قوله شطت وأصبحت الى الخطاب فى على طلابك .

قول الله تعالى « فان لم يستجيبوا لكم — الخطاب النبى صـلى الله عليه وسلم ثم قال للكفار — فأعلموا انما أنزل بعلم الله » يدل على ذلك قوله جل ثناؤه « فهل أنتم مسلمون » (١٧٣) وقال « فمـن ربكما يا موسى » (١٧٤) وقال « فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى » (١٧٥)

وقديب من هذا الباب أن يبتدأ الشىء ثم يخبر عن غيره كقـول شداد بن معاوية :

---

(١٧٣) هود ١٤ ، وهذا نفس ما ذكره ابن قتيبة ، ويقول الشهاب : فى الآية ثلاثة وجوه : أما أن يكون ضمير الجمع للرسول صـلى الله عليه وسلم وحده وجمع للتعظيم ، أوله وجمع مجازا ايضـا بتنزيل فعاله منزلة فعليهم جميعا ، لأنهم معه على حد بنو فلان قتلوا قتيلا ، وجعل فعله كفغلهم اشارة الى ماذكره من أن المؤمنين كانوا أيضا يتحدونهم وكان أمر الرسـول متناولا لهم من حيث انه يجب اتباعه عليهم فى كل أمر الا ما خصه الدليل حاشية الشهاب ٥/٨١ ·

(١٧٤) طه ٤٩ ، ويذكر الزمخشرى : خاطب الاثنين ووجه النداء الى أحدهما وهو موسى لأنه الأصل فى النبوة ، ويحتمل أن يحمله خبثه ودعارته على استـدعاء كلام موسى لما عرف من الرتة فى لسـان موسى ، الكشاف ٢/٥٣١ ·

(١٧٥) طه ١١٧ ، قال الزمخشرى : اسند الى آدم وحده فعل الشقاء بعد اشراكهما فى الخروج لأن فى ضمن شقاء الرجل وهو القيم شـقا أهله فأختصر الكلام باسناده اليه دونها مع المحافظة على الفاصـلة . أو اريد التعب فى طلب القوت وذلك راجع الى الرجل ، وذكر الشهاب أن الاسناد الى الشيطان مجازى لأنه سبب فى الخروج ونهى الشـيطان كناية عن نهيهما عن مطاوعتهما له واتيان ما يقتضى تسببه وتسلطه عليهما على حد قوله افلا فى صدرك حرج ، الشهاب ٦/٢٣٠ ، والكشاف ٢/٥٥٥ ·

من يك سائلا عنى فانى وجروة لا ترود ولا تعار

وجروة فرسه ، فالمسألة عنه والخبر عن غيره .

ومثله فى كتاب الله « والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا يتربصن » (١٧٦) .

فخبر عن الأزواج وترك الذين ، ومثله :

بنى أسد ان ابن قيس وقتله بغير دم دار المذلة حلت

فترك ابن قيس وخبر عن القتل ، كأنه قال قتل ابن قيس ذل (١٧٧)

الفرق بين الجملة الاسمية والفعلية :

يوضح الفرق بينهما فيقول : النعت يؤخذ عن الفعل نحو قام فهو قائم ، وهذا الذى يسميه بعض النحويين الدائم (١٧٨) وبعض

---

(١٧٦) البقرة ٢٣٤ قال الزمخشرى : هذا على تقدير حذف المضاف أراد : وأزواج الذين يتوفون ، وقيل يتربص بعدهم كقولهم : السمن منوان بدرهم ، الكشاف ١/٣٧٢ .

(١٧٧) الصاحبى ١٨٣ ـ ١٨٥ .

(١٧٨) ويذكر البلاغيون أن كون المسند فعلا فللتقييد بأحد الأزمنة الثلاثة على أخصر وجه مع افادة التجدد الذى هو من لوازم الزمان الذى هو جزء من مفهوم الفعل ، وأما كونه اسما فلافادة الثبوت والدوام لأغراض تتعلق بذلك كما فى مقام المدح والذم وما أشبه هذا مما يناسبه الدوام والثبوت ويذكر السعد . أن الاسم (كعالم) يدل على ثبوت العلم وليس فيه تعرض لحدوثه أصلا . وما الدوام فانما يستفاد من مقام المدح والمبالغة لا من جوهر اللفظ وقد صرح فى المفتاح بأن نحو زيد عالم يستفاد منه =

يسميه اسم الفاعل ، وتكون له رتبـــة زائدة عن الفعـــل ، قال الله « ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك (١٧٩) » ولم يقل لا تغل يدك وذلك أن النعت ألزم ، ألا ترى أنا نقول « وعصى آدم ربه فغوى (١٨٠) » ولا نقول آدم عاص غاو لأن النعوت لازمة ، وآدم وان كان عصى فى شيء فانه لم يكن شأنه العصيان فيسمى به ، فقوله « لا تجعل يدك مغلومة » لا تكونن عادتك المنع فتكون يدك مغلولة •

ما جاء من أسلوب القصر :

تكلم ابن فارس عن بعض طرق القصر فتكلم عن انما واستعمالها

= الثبوت صريحا بناء على أن أصل الاسم صفة أو غير صفة الدلالة على الثبوت وقال الشيخ عبد القاهر • لا تعرض في نحو زيد منطلق لاكثر من اثبات الانطلاق فعلا له كما فى زيد طويل وعمرو قصير ، انظر المطول بحاشـــية السيد ١٤٩ ، ١٥٠ والمفتاح ١٠٤ ودلائل الأعجاز ١٢٢ •

(١٧٩) الاسراء ٢٩ وفى الآية استعارتان تمثيليتان شـــبه فى الأول فعل الشحيح فى منعه بمن يده مغلولة لعنقه بحيث لا يقدر على مدها ، وفى الثانية شبه السرف ببسط اليد بحيث لا تحفظ شـــيئا حاشية الشـــهاب ٢٧/٦ •

(١٨٠) طه ١٢١ وقال الرازى : ظاهر القـــرآن وان دل عـــلى أن آدم عصى وغوى ولكن ليس لأحد أن يقول : أن آدم كان عاصيا غاويا ويدل على صحة ذلك قول العتبى يقال لرجل قطـــع ثوبا وخاطه قد قطعه وخاطه ولا يقال خائط وخياط حتى يكون معاودا لذلك الفعـــل معروفا به ومعروف أن هذه الزلة لم تصدر من آدم عليه الســـلام الا مرة واحدة فوجب الا يطلق عليه هذا الاسم ، وكذلك قولنا عاص وغاو يوهم كونه عاصيا فى اكثر الأشياء وغاويا عن معرفة الله ولم ترد هاتان اللفظتـــان فى القـــرآن الا مقـــرونتين بالقصة التى عصى فيها • التفسير الكبير ٨٠/٦ والصاحبى ٢٢٨ •

فقال « سمعت عن الفراء يقول : اذا قلت انما قمت ، فقـد نفيت عن نفسك كل فعل الا القيام ، واذا قلت : انما قام أنا ، فانك نفيت القيام عن كل أحد وأثبته لنفسك » كما تكلم عن طريق النفى والاستثناء أيضا نقلا عن الفراء فيقول : يقولون ما أنت الا أخى فيدخل فى هـذا الكلام الافراد كأنه أدعى أنه أخ ومولى وغير الاخـوة فنفى بذلك ما سواها ، وكذلك اذا قال انمـا أنت ، قال الفراء لا يكـونان أبدا الا ردا (١٨١) ويفسر ذلك ابن فارس فيقول : يعنى أن قولك ما أنت الا أخى وانما قام أنا ، لا يكون هذا ابتداء أبدا وانما يكون ردا على آخر كأنه أدعى أنه أخ ومولى وأشياء أخر منفاه ، وأقر له بالاخوه(١٨٢) أو زعم زاعم أنه كانت منك أشياء سوى القيام فنفيتها كلها ما خـلا القيام ولم يرتض كون أنما للتحقيق حيث يقول : وقال قوم : انما معناه التحقير ، تقول : انما أنا بشر محقرا لنفسك ، وهذا ليس بشىء .

ويدعم قوله بالاستدلال بقوله تعالى « انما الله اله واحد » قائلا : فأين التحقير هنا ؟ (١٨٣)

والذى قاله الفراء صحيح وحجته قوله صلى الله عليه وسـلم « انما الولاء لمن أعتق » (١٨٤) .

---

(١٨١) الصاحبى ١٠٥ .

(١٨٢) وهذا ومن بعده معنى نفى الافراد .

(١٨٣) المعروف ان هذه الآية تفيد القصر ولو قيـل فيها بالتحقير لنسب النقص والعياذ بالله الى المولى جل وعلا .

(١٨٤) ورد الحديث « فى باب العتق فتح البـارى ١٦٧/٥ ويذكر ابن حجر أنه حصر الولاء فى المعتـق فـلا يكون لغيره معه منه =

كما تحدث عن تقديم المفعول لافادة القصر فقال « أيا كلمة تخصيص اذا قلت : اياك (١٨٥) أردت ، وكان الأصل أردتك فلما قدمت الكاف كما تقدم المفعول به فى « ضربت زيدا » (١٨٥) لم تستقم كاف وحدها مقدمه على فعل فوصل بها ايا » (١٨٦) •

ما ورد عن الايجاز والاطناب فى الصاحبى

١ ــ الايجاز (١٨٧) :

من الأمور التى ذكرها ابن فارس عن الايجاز قوله فى مراتب

=

شىء ، قال الخطابى لما كان الولاء كالنسب كان من اعتق ثبت له الولاء فمن ولد له ولد ثبت له نسبه ، فلو نسب الى غيره لم ينتقل نسبه عن والده وكذا اذا أراد نقل ولائه عن محله لم ينتقل •

(١٨٥) فيعبر زيدا ضربت فيفيد تخصيصه بالضرب دون غيره •

(١٨٦) الصاحبى ١١٠ •

(١٨٧) يشيد الامام عبد القاهر بالحذف فيقول : هو باب دقيق المسلك ، لطيف المأخذ ، عجيب الأمر ، شبيه بالسحر ، فانك ترى به ترك الذكر أفصح من الذكر والصمت عن الافادة أزيد للافادة ، وتجدك أنطق ماتكون اذا لم تنطق ، واتم ما تكون بيانا اذا لم تبين •• فانظر الى ما تجده من اللطف والظرف اذا أنت مررت بموضع الحذف (مما وقع فيه ذلك) ثم قلبت النفس عما تجد وألطف النظر فيما تحس به ، ثم تكلف أن ترد ما حذف وان تخرجه الى لفظك وتوقعه فى سمعك ، فانك تعلم أن الذى قلت كما قلت ، وأن رب حذف هو قلادة الجيد وقاعدة التجويد ثم ، فما من اسم أو فعل تجده قد حذف ثم أصيب به موضعه وحذف فى الحال التى ينبغى أن يحذف فيها الا وانت تجد حذفه هناك حسن من ذكرة ، وترى أختماره فى النفس أولى وانس من النطق به ، دلائل الاعجاز ١٠٤ ، ١٠٨ ، ١٠٩ •

=

الكلام : أن من الكلام ما أشكل لو جازة لفظه كقولهم : الغمرات ثـم ينجلينا (١٨٨) ٠

وفى باب الحذف والاختصار يورد مجموعة من الآيات الكـريمة وقع فيها حذف للكلمة أو لعدة كلمات ، وان كان بعضـها صـالحا للمجاز (١٨٩) أيضا حيث يقول :

=

ـ كما بين الزركشى فوائد الحذف ومنها التفخيم والاعظام لما فيه من الابهام لذهاب الذهن فى كل مذهب ، وزيادة اللذة بسبب استنباط الذهن للمحذوف وتحصيل المعنى الكثير فى اللفظ القليل ، والتشجيع على الكلام ولذا سماه ابن جنى شجاعة العربية ٠ البرهان ١٠٤/٣ ٠

ـ وقال السبكى الايجاز المصطلح عليه هنا هو الاختصـار وان كان الايجاز لغة هو تقليل اللفظ مطلقا ، ولا فرق عند السـكاكى بين الايجاز والاختصار كما صرح به الخطيبى فى شرح المفتاح وهو صريح لفظ المفتاح ، وأما قول بعضهم أن مراده أن الاختصار فى حذف الجمل فقط بخـلاف الايجاز فليس بشىء عروس الأفراح ١٦٩/٢ وانظر المفتاح ١٣٥ ٠

ـ ويذكر السيد أن السكاكى قد أبدل لفظ الايجاز بالاختصار تفتنا فى العبارة فلولا أن الايجاز والاختصار متحـدان لما عرف حال أحدهما من الآخر ولما صح قوله وسمى الايجاز اذ ذاك عيا ، المصباح ٤٦٤/٢ ٠

(١٨٨) وهو مثل قاله الأغلب العجـلى ، يضرب فى احتمال الأمور العظام والصبر عليها والتقدير هى الغمرات ، أو القصة الغمرات تظلم ثم تنجلى والغمرات : الشدائد تغمر الواقع فيها بشدتها أى تقهره ، مجمـع الأمثال ٥٨/٢ والصاحبى ٤١ ٠

(١٨٩) يقول الزركشى : المشـهور أن الحذف مجـاز ، وحكى امام الحرمين فى التلخيص عن بعضهم أن الحذف ليس بمجاز اذ هو اسـتعمال اللفظ فى غير موضعه والحذف ليس كذلك ، قال ابن عطية فى تفسير سورة

=

ومن سنن العرب الحذف والاختصار ، يقولون : والله أفعل ذاك ، يريدون لا أفعل ، ٠٠ ٠٠ ومنه فى كتاب الله « وأسأل القرية » (١٩٠) و « الحج أشهر معلومات » (١٩١) وبنو فلان يطؤهم الطريق ، أى أهله ، ونحن نطأ السماء (١٩٢) ، أى مطرها ، وقوله « على خوف من فرعون (١٩٣) وملئهم » أى من آل فرعون ، و « اذا لأذقناك ضعف ،

=

يوسف ، وحذف المضاف هو عين المجاز أو معظمه ، وهذا مذهب سيبويه وغيره من أهل النظر ، وليس كل حذف مجازا ا ٠ هـ

وقال الزنجانى فى المعيار : انما يكون مجازا اذا تغير بسببه حكم فاما اذا لم يتغير حكم ما بقى من الكلام ٠

والتحقيق : انه ان أريد بالمجاز استعمال اللفظ فى غير موضعه فالمحذوف ليس كذلك ، لعدم أستعماله ، وان أريد بالمجاز اسناد الفعل الى غيره ـ وهو المجاز العقلى ـ فالحذف كذلك ٠ البرهان ٣/١٠٣ وانظر الاتقان ٣/١٣٨ ٠

(١٩٠) يوسف ٨٢ ، وجوز الشهاب فى سؤال القرية أن يكون مجازا عن سؤال أهلها أو فى النسبة ، أو يقدر فيه مضاف ، وذكر الزركشى والسيوطى انها من المجاز المرسل وجوز الرضى كونها استعارة أو حقيقة ٠ وجعلها العلوى من مجاز النقصان ، وعند ابن الأثير وأبى هلال وابن سنان من الايجاز بحذف المضاف ، انظر حاشية الشهاب ٥/٢٠٠ ، والبرهان ٢/٢٧٤ ، والاتقان ٣/١٢٦ ، والمثل السائر ٢/٩٩ ، وسر الفصاحة ١٩٩ ٠

(١٩١) البقرة ١٩٧ ، والتقدير : وقت الحج أشهر الكشاف ١/٣٤٩

(١٩٢) هذا المثال وما قبله من قبيل المجاز المرسل أيضا ، والعلاقة فيها ظاهرة ، ٠

(١٩٣) يونس ٨٣ ، وذكر الزمخشرى وجها آخر أى على خوف من فرعون وخوف من اشراف بنى اسرائيل ، الكشاف ٢/٢٤٩ ٠

الحياة »(١٩٤) أى ضعف عذابها ، و « والذين آمنوا وعملوا الصالحات لندخلنهم فى الصالحين (١٩٥) » ومثله « أن اضرب بعصاك البحر فانفلق » (١٩٦) أى فضرب فانفلق (١٩٧) وقوله « أنى آمنت بربكم فاسمعون (١٩٨) قيل أدخل الجنة » أى فلما قتل قيل ، ومنه « وتركنا عليه فى الآخرين » (١٩٩) أراد الثناء الحسن ومنه « فاذا عزم الأمر فلو صدقوا الله) (٢٠٠) معناه فاذا عزم الأمر كذبوه (٢٠١) .

---

(١٩٤) الاسراء ٧٥ ، ويقول الزمخشرى أصل الكلام لأذقناك عذابا ضعفا فى الحياة ثم حذف الموصوف وأقيمت الصفة مقامه وهو الضعف . الكشاف ٢/٤٦١ .

(١٩٥) العنكبوت ٩ ، التقدير : فى جملة الصالحين ، أو فى مدخل الصالحين الكشاف ٣/١٩٨ .

(١٩٦) الشعراء ٦٣ ، وما ذكره من تقدير للمحذوف هو ما ذكره الرازى ، التفسير الكبير ٦/٣٧٣ .

(١٩٧) الصاحبى ١٧٥ .

(١٩٨) يس ٢٥ ، ٢٦ هذا وفى الآية ايجاز آخر فى قوله (فاسمعونى) أى اسمعوا ايمانى تشهدوا لى به ، كما أن فى الكلام فصلا حيث أخرج الكلام مخرج الاستئناف لأن هذا من مظان المسألة عن حالة عند لقاء ربه كان قائلا قال : كيف كان لقاء ربه بعد ذلك التصلب فى نصرة دينه ؟ فقيل أدخل .. ولم يقل قيل له لانصباب الغرض الى المقول وعظمه لا الى المقول له مع كونه معلوما ، الكشاف ٣/٣١٩ .

(١٩٩) الصافات ٧٨ ، وانظر الكشاف ٣/٣٣٤ .

(٢٠٠) محمد عليه السلام ٢١ ، وفى الآية لون آخر فى قوله (عزم الأمر) بمعنى جد ، والعزم والجد لأصحاب الأمر وانما يسندان الى الأمر اسنادا مجازيا) الكشاف ٣/٥٣٦ .

(٢٠١) الصاحبى ١٧٥ .

وفى باب التوهم والايهام أورد ابن فارس عدة أبيات تنـدرج تحت نوع مخصوص من ايجاز القصر وهو — كما ذكر السيد الشريف فى المصباح — نوع من ايجاز القصر له ضابط مخصوص ، أن ينفى اللازم أو ما جرى مجراه قصدا الى نفيه ونفى ملزومه معا (٢٠٢) .

ومن هذه الأمثلة « لا يفزع الأرنب أهوالها » (٢٠٣) ، انما أراد ليس بها أرنب يفزع ، وكذلك « على لا حب لا يهتدى لمناره » (٢٠٤) انما أراد لا منار به ، وأظهر من ذاك قول الجعدى :

سبقت صياح فراريجها   وصوت نواقيس لم تضرب (٢٠٥)

وقال أبو ذؤيب

متفلق أنساؤها عن قانىء   كالقرط صاو غبره لا يرضع (٢٠٦)

أوهم أن ثم غبرا وانما أراد لا غبر به فيرضع (٢٠٧) .

---

(٢٠٢) المصباح ٢/٤٧٢ والمفتاح ١٣ .

(٢٠٣) هذا صدر بيت لعمرو بن أحمر يصف فلاة وقد ذكر عنه ابن الأثير أن هذا من عكس الظاهر وهو نفى الشيء باثبـاته ، بأن تذكر كلاما يدل ظاهره أنه نفى لصفة موصوف وهو نفى للموصـوف أصلا ، انظر المصباح ٢/٤٧٤ والمثل السائر ٢/٢٥٨ والكشاف ١/٤٧٠ .

(٢٠٤) اللاحب الطريق الواضح والمنار العلم فى الطريق ، أى لامنار ولا اهتداء فقد نفى الاهتداء نفيا للمنار ، المصباح ٢/٤٧٤ ، والايضـاح ١/١٨٤ .

(٢٠٥) وهنا أيضا نفى الضرب والمراد نفى النواقيس وصـوتها أى لاصوت ناقوس ولا ضرب .

(٢٠٦) يقال نسأت ناقتى بالمنسأة أي ضربتها ، وغبر اللبن بقاياه ؟

(٢٠٧) الصاحبي ١٩٣ ؟

ومن الايجاز بالحذف (٢٠٨) ما ذكره فى باب الاضمار بقوله : من سنن العرب الاضمار ويكون على ثلاثة أضرب ، اضمار الأسماء واضمار الأفعال واضمار الحروف •

فمن اضمار الأسماء : ألا يا سلمى ، يريدون ألا يا هذه اسلمى ، وفى كتاب الله جل ثناه « ألا يسجدوا » (٢٠٩) بمعنى ألا يا هؤلاء اسجدوا فلما لم يذكر هؤلاء بل أضمرهم اتصلت (يا) بقوله « اسجدوا » فصار كأنه فعل مستقبل ، ويضمرون من الأسماء (من) فيقولون : ما فى حينا الا له ابه ، أى من له ابل ، وفى كتاب الله « وما منا الا له مقام معلوم » (٢١٠) أى من له •

كما ذكر أن من اضمار الحروف قوله تعالى « واختار موسى قومه » (٢١١) أى من قومه •

---

(٢٠٨) سيكون ضمن ما هو مذكور هنا بعض الأمثلة من حذف المسند وبعضها من حذف المسند اليه •

(٢٠٩) النمل ٢٥ ما ذكره أحد الوجوه فى الآية وفيها وجوه أخرى وضحها الزمخشرى بقوله : من قرأ بالتشديد أراد قصدهم عن السبيل لئلا يسجدوا ، فحذف الجار مع أن ، ويجوز أن تكون لا مزيدة ويكون المعنى فهم لا يهتدون الى أن يسجدوا ، وأما ما ذكره ابن فارس فعلى قراءة التخفيف وفى قراءة أبى : ألا تسجدون ، وعن عبدالله هلا تسجدون بمعنى ألا تسجدون على الخطاب ، الكشاف ١٤٥/٣ والبرهان ١٨٠/٣ •

(٢١٠) الصافات ١٦٤ وقدر الزمخشرى أن المحذوف أحد فحذف الموصوف وأقيمت الصفة مقامه ، كقوله (أنا ابن جلا وطلاع الثنايا) الكشاف ٣٥٦/٣ والصاحبى ١٩٦ ، ١٩٧ •

(٢١١) وهذا ما ذكر في الكشاف من أن المحذوف حرف الجر ، الكشاف ١٢١/٢ •

ومن اضمار الأفعال قول الله جل ثناؤه « فأما الذين اسودت وجوههم أكفرتم » (٢١٢) معناه فيقال لهم ، ومنه قوله « ثم يخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشدكم » (٢١٣) .

أى يعمركم لتبلغوا ، ومن باب الاضمار أثعلبا وتفر ؟

أى أترى ثعلبا .

وفى كتاب الله « وتتلقاهم الملائكة هذا يومكم » (٢١٤) أى يقولون ، ومن الاضمار « قل لمن ما فى السموات والأرض قل لله »(٢١٥) فهذا مضمر ، كأنه لما سألهم عادوا بالسؤال عليه فقيل له قل لله ، ومنه

---

(٢١٢) آل عمران ١٠٦ وقدر الزمخشرى وابن قتيبة المحذوف كما هنا ، وزاد الزمخشرى قوله : ان الهمزة للتوبيخ والتعجب من حالئهم ، الكشاف ١/٤٥٣ .

وتأويل مشكل القرآن ٣/٢١٦ .

(٢١٣) الحج : ٥ ، وقدر الزمخشرى والرازى أن المراد يخرج كل واحد منكم ولم يتعرضا للكلام عن حذف الفعل الذى قدره ابن فارس هنا .

(٢١٤) الأنبياء ١٠٣ وقدر الزمخشرى أن المحذوف : يقولون هذا وقت ثوابكم ، الكشاف ٢/٥٨٥ والبرهان ٣/١٩٧

(٢) الأنعام ١٢ وانظر الكشاف ٢/٧ .

(٢١٥) البقرة ٧٣ ، وهى عند السكاكى مما دخل عليه الفاء الفصيحة حيث يقول أليس يفيد فضربوه فحيى فقلنا .. ويقول السيد : الفصيحة هنا مقدرة محتاجة الى تأمل يظهر به موقعها ، ولأن المحذوف ههنا أكثر من جملة واحدة يدل عليه سياق الكلام ، فالفاء فى فقلنا المقدر الداخل على كذلك فاء فصيحة تقتضى تقير فضربوه الخ والايجاز مع الفاء الفصيحة ايجاز حذف دائما ، المصباح ٢/٤٦٣ والصاحبي ١٩٨ .

« فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيى الله الموتى » (٢١٦) معناه فضربوه فحيى كذلك ، ومثله فى كتاب الله كثير .

ومما ذكره من أمثلة الايجاز أيضا ما ورد فى باب ما يكون بيــانه مضمرا فيه ، ومثل لذلك بقوله تعـــالى « حتى اذا جــاؤها وفتحت أبوابها » (٢١٧) فهذا محتاج الى بيان لأن حتى اذا لابد لها من تمام؛ فالبيان هاهنا مضمر ، قالوا تأويله : حتى اذا جاؤها جاؤها وفتحت ؛ قال : لكان هذا القرآن هذا هو الذى يسمى فى سنن العرب باب الكف . ومثله « ولو أن قرآنا سيرت به الجبال » (٢١٨) فتمامه مضــمر كأنه

---

(٢١٦) الزمر ٧٣ ، وقد جعل الخطيب أن حذف جواب الشرط هنا للدلالة على أنه شيء لا يحيط به الوصف أو لتذهب نفس السامع فيه كل مذهب ممكن فلا يتصور مطلوبا و مكروها الا يجوز أن يكون الأمر أعظم منه ، ولو عين شيء اقتصر عليه وربما خف أمره عنده الايضاح ١٨٧/١ .

وقد ذكر الزركشي أن للنحويين فى هذه الآية ثلاثة أقوال : أحدها ان الواو زائدة والجواب قوله (فتحت) والثانى : أن الجواب محذوف عطف عليه قوله (وفتحت) كأنه قال حتى اذا جاؤها جاؤها وفتحت ، قال الزجاج وفى هذا حذف المعطوف وابقــاء المعطــوف عليه ، والثالث : أن الجواب محذوف آخر الكلام كأنه قال بعد الفراغ استقروا أو خلدوا أو استــتووا مما يقتضيه المقام وليس فيه حذف معطوف ، ويحتمل أن يكون التقدير . اذا جاؤها اذن لهم فى دخولها وفتحت أبوابها ، البرهان ١٩٠/٣ .

(٢١٧) الرعد ٣١ ، والآية عنــد الخطيب من حــذف جواب الشرط لمجرد الاختصار الايضاح ١٨٧/١ ، وتأويل مشكل القرآن ٢١٤،والصاحبى ٢٠٣ .

(٢١٨) الزخرف ٥١ ، ٥٢ ، ويقول الزمخشرى (أم أنا خير) أم هذه متصلة لأن المعنى أفلا تبصرون لأنهم اذا قالوا له أنت خير فهم عنده بصراء =

ومن أمثلة الايجاز أيضا ما ذكره فى باب ا كف من قوله « هو أن يكف عن ذكر الخبر اكتفاء بما يدل عليه الكلام كقول القائل :

وجدك لو شيء أتانا رسوله ... سواك ولكن لم نجد لك مدفعا

المعنى : لو أتانا رسول سواك لدفعناه ، وقال :

فمن له فى الطعــن والضراب ... يلمــع فى كفى كالشهاب

أى من له سيف •

ومنه قوله جل وعز فى قصة فرعون « أفلا تبصرون أم » (٢١٨)

أراد أم تبصرون •

٢ ــ الاطناب

ذكر ابن فارس ألوانا من الاطناب :

ومن ذاك : أنه أورد شطر بيت مما عده البلاغيون تطويلا واعتبره هو من قبيل التأكيد حيث يقول : قالوا وانما يأتى الشاعر بالاســمين المختلفين للمعنى الواحد تأكيد أو مبالغة كقولهم :

وهند أتى من دونها النأى والبعد

=

وهذا من انزال السبب منزلة المسبب ، ويجوز أن تكون منقطعة على بل أأنا خير ؟ والهمزة للتقرير ، وذلك أنه قدم تعديد اسباب الفضل والتقدم عليهم وملأ به مسامعهم ثم قال أنا خير فكأنه يقول : أثبت عندكم واستقر أني أنا خير وهذه حالي ، الكشاف ٤٩٢/٣ ، والصاحبى ٢١٥ ،

فقالوا فما نأى هو البعد (٢١٩) ·

ومن ذلك أيضا ما ذكره فى باب التكرار ، ومن المعروف أن هــذا الباب يدخل ضمن باب الاطناب عند البلاغيين (٢٢٠) ·

يقول ابن فارس : ومن سنن العرب التكـــرير والاعادة أرادة الابلاغ (٢٢١) بحسب العناية :
بالأمر كما قال الحارث بن عباد (قربا مربط النعامة منى)

فكرر قربا مربط النعامة فى ر س أبيات كثيرة عناية بالأمر وأراد الابلاغ فى التنبيه والتحذير ، وكقول الآخر :

كم نعمة كـــانه لـــه   كـــم كـــم وكـــم

فكرر لفظ كم لفرط العناية بقصد تكثير العدد ·

---

(٢١٩) نفس المرجع وانظر الايضاح ١٧٧/١ ·

(٢٢٠) انظر شروح التلخيص ٢١٨/٣ ، والاتقان ٢٢٤/٣ ·

(٢٢١) أى المبالغة وقد ذكر العلماء للتكرير فوائد منها : التأكيد ، وزيادة التنبيه على ما ينفى التهمة ليكمل تلقى الكلام بالقبول كقوله (ياقوم اتبعون اهدكم ســـبيل الرشاد ياقوم انما هذه الدنيا متاع) فكرر النــداء لذلك واذا طال الكلام وخشى تناس الأول أعيد ثانيا تطرية له وتجديدا العهدة كما يجىء فى مقام التعظيم والتهويل ، وفى مقام الوعيد والتهديد ، وكذا فى مقام التعجب ، ويؤتى به كذلك لتعدد المتعلق كقوله تعالى :
« فبأى آلاء ربكما تكذبان » ·
البرهان ١١/٣ ــ ٢٥ ، والاتقان ٢٢٤/٣ ، وشروح التلخيص ٢١٨/٣

قال علماؤنا فعلى هذه السنة جاء ما جاء فى كتاب الله من قوله « فبأى آلاء ربكما تكذبان » (٢٢٢) .

ويتكلم عن تكرار قصص القرآن وعلاقته بالاعجاز فيقول :

فأما عن تكرار قصص القرآن وعلاقته بالاعجاز فيقول :

فأما تكرير الأنباء والقصص فى كتاب الله فقد قيلت فيه وجوه ، وأصح ما يقال فيه ان الله جعل هذا القرآن معجز القوم عن الاتيان بمثله آية ، لصحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ، ثم بين وأوضح الأمـر فى عجزهم بأن كرر ذكر القصة فى مواضع اعلاما أنهم عـاجزون عن

---

(٢٢٢) الرحمن ١٣ ، وقد تحدث العلماء عن فائدة التـكرار فى الآية وهو تعدد المتعلق حيث خاطب الله بها الثقلين وعدد عليهم نعمة التى خلقها لهم فكلما ذكر فصلا من فصول النعم طلب اقرارهم واقتضـاءهم الشـكر عليه ، وهى أنواع مختلفة وصور شتى ، فان قيل : ان بعضها ليس بنعمة كقوله (يرسـل عليكما شـواظ من نار) فليس من الآلاء ؟ وجوابه : أن الزجر والتحذير نعمة ، وانما تتحقق معرفة الشىء بأن تعتبره بضده،والوعد والوعيد وان تقابلا فى ذواتهما فانهما متقاربان فى موضع النعم بالتوقيف على ملاك الأمر وعليه قول بعضهم :

والحادثات وان أصابك بؤسـها فهو الذى أنباك كيف نعيمهـا

وبذلك تعلم الحكمة فى كونها زادت على ثلاثة ولو كان عائدا لشىء واحد لما زاد على ثلاثة لأن التأكيد لا يقع به أكثر من ثلاثة .

فان قيـل : فاذا كان المراد بكل ما قبله فليس ذلك باطنـاب بل هى ألفاظ أريد بها غير ما أريد بالآخر ؟ قلت : اذا قلنا العبرة بعموم اللفظ فكل واحد أريد به ما ريد بالآخر ولكن كرر ليكون نصا فيما يليه وظاهرا فى غيره

وذكر الزركشى كذلك أن العلمـاء تكلفوا لتوجيه العـدة التى جاءت عليها هذه الآية مكررة كالكرمانى وغيره ، البرهان ٣/١٨ ، وعروس الأفراح ٣/٢١٩ والصاحبى ١٧٧ ،وأسرار التكرار فى القرآن ١٩٨ .

الاتيان بمثله بأى نظم جاء ، وبأى عبارة (٢٢٣) ، فهذا أولى ما قيل فى هذا الباب (٢٢٤) .

---

(٢٢٣) هذا واحد من عــدة وجوه ذكرها الزركشى فى فوائد تكرير القصة فى القرآن ومما ذكره أيضا أنه اذا كرر القصة زاد فيها شيئا كذكر الحيا فى عصا موسى عليه السلام وذكرها فى موضع آخر ثعبانا لبيان أن ليس كل حية ثعبانا وهذه عادة البلغاء أن يكرر أحدهم فى آخر خطبته كلمة لصــفة زائدة ، ومنها : تســلية قلب النبى صــلى الله عليه وسلم مما اتفق للأنبيــاء مثله مع أممهم ، ومنهــا أن ابراز الكلام الواحــد فى فنون كثيرة وأساليب مختلفة لا يخفى ما فيه من الفصاحة ، ومنها : أن الدواعى لا تتوفر على نقلها كتوفرها على نقل الأحــكام ، ومنها : أن القصــة الواحدة من هذه القصص كقــصة موسى مع فرعون ــ وان ظن أنها لاتغاير الأخرى ــ فقد يوجد فى ألفاظ زيادة ونقصان وتقديم وتأخير ، وتلك حال المعانى الواقعة بحسب تلك الألفاظ فان كل واحدة لابد وأن تخالف نظيرتها من نوع معنى زائد فيه لا يوقف عليه الا منهــا دون غيرها فــكأنه تعــالى فرق ذكر ما دار بينهما وجعله أجزاء ، ولو جمعت تلك القصص فى موضع واحد لأشبهت ما وجد الأمر عليه مع سائر الألفاظ لم يوقع فى اللفظ هجنة ولا أحدث مللا فغاير كلام المخلوقين ، وأنه البسها زيادة ونقصانا وتقديما وتاخيرا ليخرج بذلك الكلام أن تكون ألفاظه واحدة بأعيانها فيكون شيئا معادا فنزهه عن ذلك بهذه التغييرات ، كما أن التغيير فى أسلوب القصة يحدث فيها ميلا الى سماعها لأن النفس تحب التنقل فى الأشــياء المتجددة ، ومن ذلك أيضــا ظهور الأمر العجيب فى اخراج صور متباينة فى النظم بمعنى واحد لبيان أن ذلك مردود الى قدرة من لا يلحقه نهاية ، ولا يقع على كلامه عدد ، البرهان ٣/٢٥ ــ ٢٩ وانظر الاتقان ٣/٢٣٠ والتصوير الفنى فى القرآن ١٢٦ .

(٢٢٤) الصاحبى ١٧٨ .

الاعتـــــراض (٢٢٥) :

كما ذكر ابن فارس من ألوان الاطناب أيضا الاعتراض .

يقول ابن فارس : ومن سنن العرب أن يعترض بين الكـــلام وتمامه كلام ولا يكون هذا المعترض الا مفيدا (٢٢٦) ومثـــال ذلك أن يقول القائل اعمل ــ والله ناصرى ــ ما شئت ، انما أراد اعمل فجا من

---

(٢٢٥) ذكر العلماء فوائد الاعتراض وأسبابه ومنها : تقرير الكلام كقوله تعالى (تالله لقد علمتم ما جئنا لنفسد فى الأرض) فالمراد تقرير اثبات البراءة من السرقة ومنها قصد التبرك كقوله « لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين » ومنها قصد قصد التأكيد كقوله « فلا أقسم بمواقع النجوم .. الآية » ومنها كون الثانى بيانا للأول كقوله تعالى « ان الله يحب التوابين ويحب المتطهـرين » فانه اعترض بين قوله « فأتوهن » وقوله « نســاؤكم حرث لكم » ومنها تخصيص أحد المذكورين بزيادة التأكيد فى أمر علق بهما كقوله « ووصينا الانسان بوالديه حملته أمه وهنا .. الآية) ومنها زيادة الرد على الخصـــم كقوله واذ قتلتم نفسا .. الآية ، ومنها الادلاء بالحجة كقوله « فاســألوا أهــل الذكر » فهو اعتراض بين « نوحى اليهـم » وبين « بالبينات والزبر » ومنها المطابقة مع الاستعطاف كقول الشاعر وخفوق قلب لو رأيت لهيبه .. الخ ومنها الدعاء ، والتنبيه على أمر فيه غرابة كقوله: فلا هجره يبدو وفى اليأس راحـة .. الخ ويقول الخطيب : ووجه حســن الاعتراض على الاطلاق حسن الافادة مع أن مجيئه مجىء ما لا معول عليه فى الافادة فيكون مثله مثل الحســنة تأتيك من حيث لا ترتقبها ، ومن الناس من يجوز وقوع الاعتراض فى آخر الكلام أو يليه كلام غير متصل به معنى والاعتراض عند هؤلاء يشـمل التذييل ، الايضــاح ٢٠٦/١ ــ ٢٠٩ ، والبرهان ٥٦/٣ ــ ٦٤ .

(٢٢٦) هذا القيد لاخراج الحشو والتطويل ، ويفرقون بين الجملة الحالية والاعتراضية بأن الاعتراضية تكون طلبية ، البرهان ٥٦/٣ .

اللعباء جلمودى (٢٢٧) قوله والسلطان مرتقب معترض ، ومن ذلك فى كتاب الله « واتل عليهم نبأ نوح اذ قال لقومه يا قوم ان كان كبر عليكم مقامى وتذكيرى بآيات الله فعلى الله توكلت فأجمعوا أمركم » انما أراد ان كان كبر عليكم مقامى وتذكيرى بآيات الله فأجمعوا أمركم .

ومثله قول الأعشى :

فان يمسى عندى الهم والشيب والعشا
فقد بن منى والسلام تغلق
بأشجع أخاذ على الدهر حكمة
فمن أى ما تجنى الحوادث أفرق

أراد بن منى بأشجع ، والسلام تفلق اعتراض .

ومثل هذا فى كتاب الله جل ثناؤه وأشعار العرب كثير ، وانما نذكر من الباب رسما .

ومما يمكن أن يدخل فى باب الاطناب أيضا ما ذكره فى باب الاشباع والتأكيد من قوله : تقول العرب عشرة وعشرة فتلك عشرون وذلك زيادة فى التأكيد ومنه قوله « فصيام ثلاثة أيام فى الحج وسبعة اذا رجعتم تلك عشرة كاملة » (٢٢٨) انما قال هذا النفى الاحتمال أن يكون أحدهما

---

(٢٢٧) الفج : الطريق الواسع بين الجبلين ، وافج الرجل أى أسرع ورجل فجفاج كثير الكلام ، واللعباء : اسم وضع ، والجلمود الصخر ، والجلمد الابل الكثيرة وذات الجلاميد موضع ، وجوز الرازى فى « فعلى الله توكلت » أن تكون جوابا للشرط أو تكون اعتراضا ، انظر التفسير الكبير ١٥/٥ والصاحبى ٢١٠ .

(٢٢٨) ١٩٦ البقرة ، والآية من قبيل الزيادة بالتأكيد عند ابن قتيبة كذلك ، وقال الزمخشرى : وفائدة الفذلكة فى كل حساب أن يعلم العدد =

واجبا — اما ثلاثة واما سبعة — فأكد وأزيل هذا التوهم (٢٢٩) بأن جمع بينهما ، وكذلك قوله « يقولون بألسنتهم » (٢٣٠) فذكر الألسنة لأن الناس يقولون : قال فى نفسه كذا .

=

جملة كما علم تفصيلا ليحاط به من جهتين فيتأكد العلم ، وفى قوله «كاملة» تأكيد آخر وفيه زيادة توصية بصيامها وأن لا ينقص من عددها ، وقيل كاملة فى وقوعها بدلا من الهدى .

الكشاف ٣٤٥/١ ، وتأويل مشكل القرآن ٢٤٣ والايضاح ٢٠٩/١ .

(٢٢٩) يذكر الزركشى : أن جمهور الأمة على وقوع التأكيد فى القرآن والسنة وقال قوم ليس فيهما تأكيد ولا فى اللغة بل لابد أن يفيد معنى زائدا على الأول ، واعترض الملحدون على ما فى القرآن والسنة من التأكيدات وأنه لا فائدة فى ذكرها ، وأن من حق البلاغة فى النظم ايجاز اللفظ واستيفاء المعنى ، وظنوا أنه انما يجىء لقصور النفس عن تأدية المراد بغير تأكيد ولهذا أنكروا وقوعه فى القرآن .

وأجاب الأصحاب : بأن القرآن نزل على لسان القوم وفى لسانهم التأكيد والتكرار ، بل هو عندهم معدود فى الفصاحة والبراعة ومن أنكر وجوده فى اللغة فهو مكابر لأن فوائده كثيرة ، والتوكيد حيث وقع فهو حقيقة ، وزعم قوم أنه مجاز — لأنه لايفيد الا ما أفاده الأول . البرهان ٣٨٤/٢

(٢٣٠) الفتح ١١ وانظر تأويل مشكل القرآن ٢٤١ ، والايضاح ٢٠٩/١ والصاحبى ٢٢٨ .

الفصل الثاني

فيما تضمنه الصاحبي من علم البيان

كلام ابن فارس عن التشبيه :

تكلم ابن فارس عن التشبيه وبعض أدواته ومثل لذلك ، كما تكلم عن تقييد التشبيه بالوصف واطلاقه من التقييد ، وذلك أنه في باب أجناس الأسماء يذكر أن أسماء الأعيان اسم مشبه — بضم الميم — كقولنا : رجل حديد وأسد ، على وجه التشبيه (١) .

كما يتكلم عن « الكاف » فيقول : انها تدخل في أول الاسم للتشبيه فتخفض الاسم نحو : زيد كالأسد ، وأهل العربية يقيمونها مقام الاسم ويجعلون لها محلا من الاعراب ولذلك يقولون : مررت بكالأسد ، أرادوا بمثل الأسد (٢) .

وتحدث أيضا عن « كأن » وقال : انها كلمة تشبيه (٣) .

ويتحدث عن الاطلاق والتقييد فيقول : أما الاطلاق فأن يذكر الشيء باسمه لا يقرن به صفة ولا شرط ولا زمان ولا عدد ولا شيء يشبه ذلك .

والتقييد : أن يذكر بقرين من بعض ما ذكرناه فيكون ذلك القرين زائدا في المعنى ، من ذلك أن يقول القائل : زيد ليث ، فهذا انما شبهه

(١) الصاحبي ٥٥ .

(٢) نفس المرجع ٨٢ وانظر مغني اللبيب ١/١٥٧ .

(٣) الصاحبي ٢٣٢ .

بالليث فى شجاعته ، فاذا قال : هو كالليث الحرب ، فقد زاد «الحرب» وهو الغضبان الذى حرب فريسته أى سلبها ، فاذا كان كذلك كان أدهى له ، ومن المطلق قوله « ترائبها مصقولة كالسجنجل » .

فشبه صدرها بالمرآة لم يزد على هذا

وذكر ذو الرمة أخرى فزاد فى المعنى حتى قيد فقال :

« ووجه كمرآة الغريبة أسجح »

فذكر المرآة كما ذكر امرؤ القيس السجنجل ، وزاد الثانى ذكر « الغريبة » فزاد فى المعنى ، وذلك أن الغريبة ليس لها من يعلمها محاسنها من مساوئها فهى تحتاج أن تكون مرآتها أصفى وأنقى لتريها ما تحتاج الى رؤيته من سنن وجهها (٤) ، ومنه قول الأعشى :

تروح على آل المحلق جفنة كجابية الشيخ العراقى تفهق

فشبه الجفنة بالجابية وهى الحوض ، وقيدها بذكر الشيخ العراقى ، لأن العراقى اذا كان بالبدو لم يعرف مواضع الماء ومواقع الغيث فهو على جمع الماء الكثير أحرص من البدوى العارف بالمناقع والأحساء ، (٤) .

---

(٤) المرجع نفسه ١٦٥ ، وواضح مما ذكره أنه لم يقف عند ذكر الشاهد فقط وانما يعقد مثل هذ الموازنات التى تبرز بوضوح تعمقه فى دراسة الأساليب وتذوقها وأنه لم يقف عند مجرد ذكر المعانى اللغوية،وهذا واضرابه يوضح جهد ابن فارس وماله من باع واسع فى المساهمة فى الدراسات البلاغية خلافا لمن اتهمه بالتقصير فى هذا المجال .

(٤) الصاحبى ١٦٥ .

كلام ابن فارس عن الحقيقة والمجاز :

يتكلم عن معنى الحقيقة فى اللغة فيقول : انها من قولنا حق الشىء اذا وجب واشتقاقه من الشىء المحقق وهو المحكم ، تقول : ثوب محقق النسج أى محكمه ، وهذا جنس من الكلام يصدق بعضه بعضا من قولنا حق وحقيقة ثم يعرفها تعريفا يختلف كثيرا عما ذكره البـــلاغيون (٥) فيما بعد فيقول :

فالحقيقة : الكلام الموضوع موضعه الذى ليس باستعارة ولاتمثيل ولا تقديم فيه ولا تأخيرا (٦) ، كقول القائل : أحمد الله على نعمــه واحسانه وهذا أكثر الكلام ، قال الله جل ثناؤه « والذين يؤمنون بمــا أنزل اليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنــــون » (٧) واكثر ما يأتى من الآى على هذا ، ومثله فى شعر العرب :

لمال المرء يصـــــلحه فيغنى مفـــاقره أعف من القنوع

ثم يعرف المجاز فيقول : وأما المجاز فمأخوذ من جاز يجوز اذا استن ماضيا تقول : جاز بنا فلان ، وجاز علينا فارس ، هذا هو الأصل ثم تقول : يجوز أن تفعل كذا أى ينفذ ولا يرد ولا يمنع ، وتقـــول : عندنا دراهم وضح وازنة وأخرى تجوز جواز الوازنة ، أى ان هـــذه وان لم تكن وازنة فهى تجـــوز مجازها وجوازها لقربها منها ، فهـــذا تأويل قولنا مجاز (٨) .

---

(٥) انظر الايضاح ٢/٢٦٥ ، ٢٦٦ ، وشروح التلخيص٤/٢ ومابعدها

(٦) يفهم من التعريف أنه يدخل التقديم والتأخير ضمن المجاز .

(٧) البقرة : ٤ .

(٨) الملاحظ أنه اقتصر فى تعريف المجاز على معناه اللغوى ، وهو المضى

=

أى أن الكلام الحقيقى يمضى لسبيله لا يعترض عليه ، وقد يكون غيره يجوز جوازه لقربه منه الا أن فيه من تشبيه (٩) واستعارة وكف ما ليس فى الأول •

وذلك كقولك : عطاء فلان مزن واكف ، فهذا واكف ، فهذا تشبيه ، وقد جاز مجاز قوله عطاء كثير واف •

ومن هذا فى كتاب الله جل ثناؤه « سنسمه على الخرطوم »(١٠) فهذا استعارة ، وقال « وله الجوار المنشآت فى البحر كالأعلام » (١١)

فهذا تشبيه ، ومنه قول الشاعر :

ألم تر أن الله أعطاك سورة ترى كل ملك دونها يتذبذب
بأنك شمس والملوك كواكب اذا طلعت لم يبد منهن كوكب

=

والجواز ولم يتعرض لتعريفه اصطلاحا كما فعل فى تعريف الحقيقة ، ولعله اكتفى بتعريفها عن تعريف المجاز لأنه عكسها ، والمعروف أن هناك خلافا بين البلاغيين فى اشتقاق كلمة المجاز انظر الايضاح ٢/٢٦٩ ، وأسرار البلاغة ٣١٦ ، والمطول ٣٥٢ •

(٩) لعله يقصد التشبيه المحذوف الوجه والأداة لأنه عند جماعة من الاستعارة الداخلة فى المجاز أو أنه يدخله فى المجاز حيث قاسه على مثال من الحقيقة •

(١٠) القلم ١٦ ، والآية اما مجاز مرسل أو استعارة، يقول الزمخشرى عبر بالوسم على الخرطوم عن غاية الاذلال والاهانة ، وفى لفظ الخرطوم استخفاف به ، وقيل معناه سنعلمه يوم القيامة بعلامة مشوهة يبين بها على سائر الكفرة كما عادى الرسول عداوة بان بها عنهم ، الكشاف ٤/١٤٣ •

(١١) الرحمن ٢٤ •

فالمجاز هنا عن ذكر السورة وانما هي من البناء ، ثم قال يتذبذب والتذبذب يكون تذباذب الثوب وهو ما يتدلى منه فيضطرب ، ثم شبهه بالشمس وشبههم بالكواكب .

وجاء هذان البابان في نظوم كتاب الله جل ثناؤه ، وكذلك ما يجيء بعدهما مما نذكر من سنن العرب لتكون حجة الله جل اسمه عليهـــم آكد (١٢) ولئلا يقولوا انما عجزنا عن الاتيان بمثله لأنه بغير لغتنـــا وبغير السنن التي نستنها .

فمن سنن العرب مخالفة ظاهر اللفظ معناه كقولهم عند المدح : قاتله الله ما أشعره ؟ فهم يقولون هذا ولا يقصدون وقوعه (١٣) .ومنه امرىء القيس يصف راميا :

فهـــو لا تنمى رميتـــه ماله لاعد من نفـــره

يقول : اذا عد نفره لم يعد معهم كأنه قال : قتله الله ، أماته الله حتى لا يعد ، ومنه قولهم : هوت أمه وثكلته ، قال كعب بن سعد يرثي أخاه :

هوت أمه مايبعث الصبح غاديا وماذا يؤدي الليل حين يؤب؟

وهذا يكون عند التعجب من اصابة الرجل في رميه أو في فعـــل يفعلـــه .

---

(١٢) يتحدث هنا عن جانب من جوانب اعجاز القرآن الكريم وهو نزوله على سنن لغة العرب ومخاطباتهم .

(١٣) وهذا على سبيل استعارة الشيء لضـــده ويذكر الزمخشري أن هذا أشعار بأنه قد بلغ المبلغ الذي هو حقيق بأن يحسد ويدعو عليه حاسده بذلك ، الكشاف ١٨٣/٤ والتفسير الكبير ٢٥١/٨ .

ثم ينقد ابن قتيبة فيما ذهب اليه من جعله أمثال ذلك فى كتاب الله غير مراد وقوعه كما هنا فيقول :

وكان ابن قتيبة (١٤) يقول فى هذا الباب : من ذلك الدعـاء على جهة الذم لا يراد به الوقوع كقول الله جل ثناؤه « قتل الخراصون »(١٥) ــ قتل الانسان ما أكفره (١٦) ــ « قاتلهم الله أنى يؤفكون » (١٧) وأشباه ذلك •

قال احمد بن فارس : وهذا وان أشبه ما تقدم ذكره فانه لا يجوز لأحد أن يطلق فيما ذكره الله جل ثناؤه أنه دعاء لا يراد به الوقوع ، بل هو دعاء عليهم أراد الله وقوعه بهم فكان كما أراد ، لأنهم قتلوا واهلكوا وقوتلوا ولعنوا •

وما كان الله ليدعو على أحد فتحيد الدعوة عنه ، قال الله « تبت يدا أبى لهب » فدعا عليه ثم قال « وتب » أى وقد تب وحاق به التباب، وابن قتيبة يطلق اطلاقات منكرة ، ويروى أشياء شـنعة كالذى رواه عن الشعبى : أن أبا بكر وعمرو عليا لم يجمعوا القرآن ، قال : وروى

---

(١٤) تأويل مشكل القرآن ٢٧٥ •

(١٥) الذاريات ١٠ ، والخراصـون : الذين يلقون القـول عن ظن وتخمين دون علم تشبيها بفعل الخارص الذى يحزر ما على النخل من الرطب تمرا ، انظر الشاف ٤/١٥ •

(١٦) عبس ١٧ ، وهو دعاء من أشـنع دعواتهم لأن القتل قصـارى شدائد الدنيا ، يقول الزمخشرى لا ترى أسلوبا أغلظ منه ولا أخشن مسا ولا أدل على سخط ولا أبعد ذما مع تقـارب طرفيه ولا أجمع للأمة على قصر متنه ، الشاف ٤/٢١٩ •

(١٧) التوبة ٣٠ •

شريك عن اسماعيل بن أبى خالد قال سمعت الشعبى يقول ويحلف بالله لقد دخل على حفرته وما حفظ القرآن ٠

وهذا كلام شنيع جدا فيمن يقول : سلونى فما من آية الا أعلم أبليل نزلت أم بنهار أم بسهل أم فى جبل (١٨) ؟٠

ما ورد فى الصاحبى من أمثلة المجاز المرسل :

فى باب الأسماء التى تسمى بها الأشخاص على المجاورة ذكر ابن فارس عددا لا بأس به من علاقات المجاز المرسل ومثل لكل علاقة بمثال من القرآن أو غيره ، بل ذكر أمثله وقع فيها المجاز بمرتبتين ، وما مثل به هنا هو فى الغالب ما مثل به كثير من البلاغيين لهذا النوع من المجاز فيما بعد ٠

يقول ابن فارس : قال علماؤنا العرب تسمى الشىء باسم الشىء اذا كان مجاورا له أو كان منه بسبب وذلك قولهم : التيمم لمسح الوجه من الصعيد — وانما التيمم الطلب والقصد ، يقال تيممتك وتأممتك أى تعمدتك (١٩) ٠

ومن ذلك تسميتهم السحاب ماء (٢٠) — والمطر سماء (٢١) ، وتجاوزوا ذلك الى أن سموا النبت سماء ، قال شاعرهم :

---

(١٨) الصاحبى ١٧٠ ، وهو محق فى رده على ابن قتيبة فيما ذهب اليه من نسبة عدم جمع القرآن الى أبى بكر وعمر وعلى رضى الله عنهم ٠

(١٩) أصل التيمم التعمد والتوفى ، قال ابن السكيت : قوله تعالى (فتيمموا صعيدا طيبا) أى أقصدوا الصعيد طيب ثم كثر استعمالهم لهذه الكلمة حتى صار التيم مسح الوجه واليدين بالتراب ، الصحاح ٢٠٦٤/٥ ٠

(٢٠) لأن الماء مسبب عن السحاب ٠

(٢١) وذلك بعلاقة المجاورة ٠

« اذا نزل السماء بأرض قوم » (٢٢)

وربما سموا الشحم ندى لأن الشـــحم عن النبت والنبت عن الندى (٢٣) ، قال ابن أحمر :

كثور العداب الفرد يضربه الندى
تعلى الندى الشحم فى متنه وتحدرا (٢٤)

ومن ذلك قول القائل : قد جعلته نفسى فى أديم ، أراد بالنفس الماء وذلك أن قوام النفس بالماء (٢٥)

وذكرناسى أن من هذا الباب قوله جل ثنـــاؤه « وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج » (٢٦) يعنى خلق ، وانما جاز أن يقول أنزل لأن الأنعام لا تقوم الا بالنبات والنبات لا يقوم الا بالماء ، والله جل ثناؤه ينزل الماء من السماء ، قال : ومثله « قد أنزلنا عليكم لباسا » (٢٧) وهو جل ثناؤه أنما أنزل الماء لكن اللباس من القطن والقطن لا يكون الا بالماء.

---

(٢٢) وذلك أنهم أسموا المطر سماء على المجاورة . ثم سموا النبت سماء لأن النبت مسبب عن المطر المسمى سماء فالمجاز بمرتبتين .

(٢٣) فهو مجاز بمرتبتين .

(٢٤) وهو نظير قول بعضهم :

أقبل فى المستن من ربابه   اسنمه الآبال فى سحابه

(٢٥) وهو من اطلاق المسبب عن السبب أو من علاقة اللزوم .

(٢٦) الآية ٦ من سورة الزمر ، وانظر الايضاح ٢/٢٧٣ ، وشروح التخليص ٤/٣٩ وحاشية الشهاب ٥/٤٣ .

(٢٧) الأعراف ٢٦ قال أبو حيان : قيل الانزال على حقيقته فانزل مع آدم وحواء شيئا من اللباس ، أو أنزل من السماء أصل كل شيء ، أو انزل معه الحديد فاتخذ منه آلات الصائغ ، أو أنزل الملك فعلم آدم النسج ، وقيل
=

قال : ومنه قوله جل ثناؤه « وليستعفف الذين لا يجدون نكاحا » (٢٨) انما أراد والله أعلم الشىء ينكح به من مهر ونفقة ولابد للمتزوج به منه (٢٩) ٠

وفى باب الزيادة :

ذكر ابن فارس آيتين أحداهما من قبيل المجاز والأخرى من قبيل الكناية على أنهما مما وقع فيهما زيادة الأسماء ، والمعروف أن الزيادة فى القرآن تسمى صلة (٣٠)

=

الانزال مجاز من اطلاق السبب عن مسببه فانزل المطر وهو سبب ما يتهيأ منه اللباس ، أو بمعنى خلق ، أو الهم ، وقال الشهاب التجوز اما فى الاسناد أو فى المسند أو فى اللباس، البحر المحيط ٤/٢٨٣ وحاشية الشهاب ٤/١٦١

(٢٨) النور ٣٣ ، قال الزمخشرى (نكاحا) أى استطاعة تزوج ، ويجوز أن يراد بالنكاح ما ينكح به من المال ، وعلى هذا يكون من اطلاق المسبب وارادة السبب ، الكشاف ٣/٦٥ ٠

(٢٩) الصاحبى ٦٣ ، ٦٤ والجدير بالذكر أن الثعالبى قد نقل هذا الباب عن ابن فارس ومثل له ببعض الأمثلة التى ذكرها ابن فارس ٠ انظر فقه اللغة ص ٤٨٤ ٠

(٣٠) يقول الزركشى : الأكثرون ينكرون اطلاق كلمة الزيادة فى كتاب الله ويسمونه التأكيد ، ومنهم من يسميه بالصلة ومنهم من يسميه المقحم . وقال ابن جنى : كل حرف زيد فى كلام العرب فهو قائم مقام اعادة الجملة مرة أخرى :

والأولى أن نجنب كلام الله من مثل الحشو واللغو لأن مراد النحويين بالزائد من جهة الاعراب لا من جهة المعنى ، ومن العلماء من ينكر وقوع الزائد فى القرآن كالمبرد وثعلب وقال الطرطوس : الدهماء من العلماء

=

أما الآية الأولى فقوله تعالى « ويبقى وجه ربك » (٣١) والآية

=

والفقهاء والمفسرين على اثبات الصلات فى القرآن وقد وجد ذلك على وجه لا يسع انكاره ، وعند ابن السراج انه ليس فى كلام العرب زائد لأنه تكلم بغير فائدة ، ومنهم من جعل وجوده كالعدم وهو أفسد الطرق .

وفى موضوع آخر يتكلم الزركشى عن وجوب تجنب اطلاق الزائد على بعض الحروف الواردة فى القرآن فيقول نقلا عن أبى نصر القشيرى : وكثيرا ما يقع فى كلامهم اطلاق الزائد على بعض الحروف كـ « ماء » فى نحو «فبما رحمة من الله » والكاف فى نحو « ليس كمثله شيء » ونحوه .

ثم يقول : والذى عليه المحققون تجنب هذا اللفظ فى القرآن اذ الزائد ما لا معنى له،وكلام الله منزه عن ذلك ، وممن نص على منع ذلك فى المتقدمين الامام داود الظاهرى لقوله ليس فى القرآن صلة يوجه البرهان ٧١/٣ ، ١٧٨/٢ .

(٣١) الرحمن ٢٧ ، المفهوم من كلام الزمخشرى وبعض العلماء أن الوجه هنا من قبيل المجاز المرسل بعلاقة الجزئية ، حيث يقول : المراد ذاته، والوجه يعبر به عن الجملة والذات ، وقد جعل الزركشى هذا مرة من قبيل المجاز المرسل ومرة من مجاز الزيادة نقلا عن الواحدى فى قوله : عن أكثر المفسرين أن الوجه صلة وقد ورد مع اسم الله كثيرا كقوله « ويبقى وجه ربك» أى ويبقى ربك ، وهذا موافق لابن فارس .

كما ذكر أن ابن عطية نقل الحذاق أن الوجه راجع الى الوجود والعبارة عنه بالوجه مجاز ، وقيل ، وهو الصواب — هى صفة ثابتة بالسمع زائدة على ما توجبه العقول من صفات الله تعالى ، وضعفه امام الحرمين .

انظر حاشية الشهاب ٩٠/٧ ، والبرهان ٢٧٨/٢ ، ٣٦٤/٣ ، والكشاف ٤٦/٤ .

الثانية قوله تعالى « وشهد شاهد من بنى اسرائيل على مثله » (٣٢) أى عليه (٣٣)

ومما ذكره من أمثلة المجاز المرسل كذلك ما جاء فى باب اقتصارهم على ذكر بعض الشيء وهم يريدونه كله ، يقولون : قعد على صدر راحاته •

ومضى ، ومن الباب « ويحذركم الله نفسه » (٣٤) ، وذكروا فى

---

(٣٢) الأحقاف ١٠ ، وذكر الشهاب أن هذا كناية بمعنى أنه ان كان شهد على مثله فشهادته عليه من باب أولى ، وما ذكره الرازى يدل على عدم الحذف هنا لقوله : ذكروا فى قوله « على مثله » وجوها ، والأقرب أن نقول أنه صلى الله عليه وسلم قال لهم أرأيتم ان كان هذا القرآن من عند الله كما أقول وشهد شاهد من بنى اسرائيل على مثل ما قلت فآمن واستكبر ثم ألستم كنتم ظالمين أنفسكم ، التفسير الكبير ٤٨١/٧ وقال السيوطى : نص أكثر النحويين على أن الأسماء لا تزاد ، ووقع فى كلام المفسرين الحكم عليها بالزيادة فى مواضع كلفظ مثل فى قوله « فان آمنوا بمثل ما آمنتم به » الاتقان ٢٢١/٣ •

(٣٣) الصاحبى ١٧٦ •

(٣٤) آل عمران ٢٨ ، ٣٠ ، وقال الرازى : فى الآية قولان ، الأول أن فيه محذوفا والتقدير ويحذركم الله عقاب نفسه ، وقال أبو مسلم ويحذركم الله نفسه أن تعصوه فتستحقوا عقابه ، والقول الثانى : أن النفس ههنا تعود الى اتخاذ الأولياء من الكفار ، أى ينهاهم الله عن نفس هذا العمل ، هذا وأراد ابن فارس أن المذكور هنا النفس والمراد الذات انظر التفسير الكبير ٤٢٩/٢ •

هذا الباب « قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم » (٣٥) وقال آخرون : (من) هذه للتبعيض لأنهم أمروا بالغض عما يحرم النظر اليه ، ومنه:

يوما بأجود نائلا منه اذا نفس النجيل تجهمت سؤالها (٣٦)

ومنه « ويبقى وجه ربك » (٣٧) وتواضعت سور المدينة .

و « رأت مر السنين أخذن منى » (٣٨) وقولهم : « صرف المنايا بالرجال تقلب » (٣٩) .

وفى باب العموم والخصوص

يذكر أمثلة ترجع الى المجاز المرسل فيقول :

---

(٣٥) النور ٣٠ ويقول الزمخشرى من للتبعيض ، وجوز الأخفش أن تكون مزيدة وأباه سيبويه ، ودخلت فى غض البصر دون حفظ الفرج لأن أمر النظر أوسع ، ألا ترى أن المحارم لا بأس بالنظر الى شعورهم هذا والذى يقصده ابن فارس من ذكر هذه الآية أنه أمر بحفظ بعض البصر والمراد كله، وقال البيضاوى أى ما يكون نحو محرم ، وقال الشهاب : هو بيان لمعنى (من) التبعيضية ، فالمراد غض البصر عما يحرم والاقتصار به على ما يحل وجعل الغض عن بعض المبصر غضا عن بعض البصر ، وفى الكشف ان فيه كناية حسنة ليست فى حفظ الفروج ولذا لم يدخل فيه (من) فتأمل ، الكشاف ٣/٦٠ ، وحاشية الشهاب ٦/٣٧٢ .

الكشاف ٣/٦٠ ، وحاشية الشهاب ٦/٣٧٢ والبرهان ٢/٢٦٥ .

(٣٦) وقد اطلق النفس هنا والمراد ذات البخيل كله ، وفى اسناد التجهم الى نفس البخيل صالح كذلك للمجاز العقلى لأن المتجهم هو البخيل .

(٣٧) الرحمن ٢٧ ، وسبق الحديث عن المجاز فى هذه الآية .

(٣٨) أطلق مر السنين والمراد السنين كلها ، كما أن فى اسناد الأخذ لمر السنين مجازا عقليا .

(٣٩) وكذا اطلاق للصرف والمراد المنايا ، وفى اسناد التقلب لصرف المنايا كذلك مجازا عقليا ، الصاحبى ٢١٣ .

وأما العام الذى يراد به الخاص (٤٠)، فكقوله جل ثناؤه حكاية عن موسى عليــه الســلام « وأنا أول المؤمنين » (٤١) ولم يرد كل المؤمنين لأن الأنبياء قبله كانوا مؤمنين ، ومثله كثير ، ومنــه « قالت الأعراب آمنا » (٤٢) وانما قاله فريق منهــم ، و « الذين قال لهم الناس » (٤٣) انما قاله نعيم بن مسعود « ان الناس » أبو سفيان وعيينة بن حصن ، ومنه قوله جل ثناؤه « وما منعنا أن نرسل بالآيات الا أن كذب بها الأولون » (٤٤) أراد الآيات التى اذا كذب بهــا نزل

---

(٤٠) هذه العلاقة مما ذكرها بعض البلاغيين وقد أدخلها السبكى فى اطلاق الكل على الجــزء كما أنه جعل عكســها من اطلاق الجزء على الكل ، عروس الأفراح ٤٣/٤ ٠

(٤١) الأعــراف ١٤٣ وبذلك قال الزركشى ، وقد ذكـر الزمخشرى وجوها أخرى منها أول المؤمنين بأنك لست بمرئى ولا مدرك بشىء من الحواس ومنها : أول المؤمنين بعظمتك وجلالك وأن شيئا لا يقوم لبطشك وبأسك ، البرهان ٢٧٢/٢ ، والكشاف ١١٦/٢ ٠

(٤٢) الحجرات ١٤ وهى عند الزركشى كما ذكر ابن فارس ، البرهان ٢٧٣/٢ ٠

(٤٣) آل عمران ١٧٣ ، وقال الزمخشرى : فان قلت كيف قيل الناس ان كان نعيم هو المثبط وحده ؟ قلت : قيل ذلك لأنه من جنس الناس ، أو لأنه حين قال ذلك لم يخل من ناس أهل المدينة يضــامونه ويصــلون جناح كلامه ويثبطون مثل تثبيطه ، الكشاف ٤٨٠/١ ، والبرهان ٢٧٣/٢ وتأويل مشكل القرآن ٢٨٢ ٠

(٤٤) الاسراء ٥٩ ، قال الزمخشرى : استعير المنع لترك ارسال الآيات وهو موافق لما ذكره ابن فارس لقوله : والمراد الآيات التى اقترحتها قريش من قلب الصــفا ذهبــا وغير ذلك ممــا لو جاء ولم يؤمنوا به لكان عذاب الاستئصال ، الكشاف ٤٥٤/٢ ٠

العذاب على المكذبين ، وكذلك قوله « ويستغفرون لمن فى الأرض »(٤٥) أراد به من المؤمنين لقوله « ويستغفرون للذين آمنوا » (٤٦) •

وأما الخاص الذى يراد به العام فكقوله عز وجل « يا أيها النبى أتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين » (٤٧) الخطاب له صلى الله تعالى عليه وسلم والمراد الناس جميعا •

— ومن الأمور التى ذكرها ابن فارس ويمكن أن تدخل تحت المجاز المعبر عنه عند الزركشى والسيوطى باقامة صيغة مقام أخرى « الواحد يراد به الجمع » •

---

(٤٥) الشورى ٥ ، وما ذكره ابن فارس هو نفس ما ذكره الزركشى والسيوطى فى الآية وقد ذكر الزمخشرى هذا الوجه وأضاف وجها آخر وهو: يحتمل أن يقصدوا بالاستغفار طلب الحلم والغفران فى قوله « ان الله يمسك السموات والأرض أن تزولا » والمراد : الحلم عنهم وأن لا يعاجلهم بالانتقام فيكون الاستغفار عاما •

الكشاف ٣/٤٦٠ وانظر البرهان ٢/٢٧٣ ، والاتقان ٣/١٢٤ •

(٤٦) غافر ٧ ، والصاحبى ١٧٩ •

(٤٧) الأحزاب ١ ، وبذلك قال الزركشى ، أما الزمخشرى فقد جعل الأمر بالتقوى مرادا به المداومة والمواظبة ، وذكر ذلك الرازى أيضا لكنها أضاف وجوها أخرى منها : أن الملك يتقى منه عباده على ثلاثة وجوه : بعضهم يخاف من عقابه ، وبعضهم يخاف من قطع ثوابه ، والثالث يخاف من احتجابه. والنبى صلى الله عليه وسلم لم يؤمر بالتقوى بالمعنى الأول ولا بالمعنى الثانى فالأمر بالتقوى يوجب استدامة الحضور مع الله وعدم الانشغال عنه لحظة البرهان ٢/٢٧١ والكشاف ٣/٢٤٨ والتفسير الكبير ٦/٥٦٧ •

يقول ابن فارس :

ومن سنن العرب ذكر الواحد والمراد به الجميع كقولهم للجماعة ضيف وعدو ، قال الله جل ثناؤه « هؤلاء ضيفى » (٤٨) وقال « ثم يخرجكم طفلا » (٤٩) وقال «لا نفرق بين أحد منهم» (٥٠) والتفريق لا يكون الا بين اثنين ، ويقولون : قد كثر الدرهم والدينار (٥١) ، ويقـــــولون :

« فقلنا أسلموا انا أخوكم » (٥٢) ويقـــولون « كلوا فى نصف بطنكم تعيشوا » (٥٣) و « أيها الانسان انك كادح » (٥٤) « يا أيهـــا الانسان ما غرك بربك » (٥٥) .

---

(٤٨) الحجر ٦٨ ، وقد ذكر ابن قتيبة أن هذا من مخالفة ظاهر اللفظ معناه ، تأويل مشكل القرآن ٢٨٤

(٤٩) الحج ٥ ، وذكرها ابن قتيبة كذلك من الواحد يراد به الجميع ، وقال الزمخشرى : وحده للدلالة على الجنس ، ويتحمل نخرج كل واحد منكم طفلا ، الكشاف ٦/٣ ، والمرجع السابق .

(٥٠) البقرة ١٣٦ ، يقول الزمخشرى أيضـا أحد فى معنى الجمـاعة لدخول بين عليه ، الكشاف ٣١٥/١ .

(٥١) وقد مثل بذلك وما بعده أيضا ابن قتيبة انظر مشكل القرآن ٢٨٤ .

(٥٢) شطر بيت للعباس بن مرداس ، اللسان ٢١/١٨ .

(٥٣) أفرد البطن والمراد كلوا فى بطونكم ، كتاب سيبويه ١٠٨/١ وخزانة الأدب ٣٧٩/٣ .

(٥٤) الانشقاق : ٦ .

(٥٥) الانفطار : ٦ ،وقد وردت الآيتان عند ابن قتيبة من خطاب الواحد الذى يراد به الجمع ، تأويل مشكل القرآن ٢٧٣ ، وانظر الصاحبى ١٨٠ .

ـ كما يتكلم ابن فارس عن عكس ما قدم فيقـــول : ومن سنن العرب الاتيان بلفظ الجميع والمراد واحد واثنان كقوله جل ثنـــاؤه « وليشهد عذابهما طائفة » (٥٦) يراد به واحد واثنان وما فوق .

وقال قتادة في قوله جل ثناؤه « ان نعف عن طائفة منكم نعذب طائفة » (٥٧) كان رجلا من القوم لا يمالئهم على أقاويلهم في النبى ـ صلى الله عليه وسلم ويسير مجانبا لهم فسماه الله طائفـــة وهو واحـــد (٥٨) .

ومنه « ان الذين ينادونك من وراء الحجرات » (٥٨) كان رجـــل نادى النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ وقال يا محمد ان مدحى زين وان شتمى شين ، فقال رسول الله : ويلك ذاك الله جل ثناؤه ، وقال « فقد صغت قلوبكما » (٥٩) وهمـــا قلبان ، وقال « بم يرجـــع المرسلون » (٦٠) وهو واحد ، يدل عليه قوله « ارجع اليهم » .

---

(٥٦) النور ٢ وقد وافقــه ابن قتيبـة فيما ذكره فى الآية ، تأويل مشكل القرآن ٢٨٢ .

وقد ذكر الزمخشري الآراء فى عـدد الطائفة وأن أقلها ثلاثة وقيـل أربعين ، الكشاف ٤٨/٣ .

(٥٧) التوبة ٦٦ وما ذكره ابن قتيبة فى الآية نص ما ذكره ابن فارس تأويل مشكل القرآن ٢٨٣ .

(٥٨) الحجرات ٤ ، والآية عند ابن قتيبة كذلك ، نفس المرجع .

(٥٩) التحريم : ٤ ، وهى بنصها عند ابن قتيبة كما ذكرها ابن فارس نفس المرجع .

(٦٠) النمل ٣٥ ، وهى عند ابن قتيبة كذلك لكن السيوطى يذكر أنه يحتمـــل أنه خاطب رئيسهم لاســيما وعادة الملوك ألا يرسـلوا واحدا ، الاتقان ١٣٠/٣ .

كما يقول : والعرب تصف الجميع بصفة الواحد كقوله جل ثناؤه « ان كنتم جنبا فاطهروا » (٦٧) فقال جنبا وهم جماعة ، وكذلك « والملائكة بعد ذلك ظهير » (٦٢) ويقولون قوم عدل ورضا .

ـ وربما وصفوا الواحد بلفظ الجميع (٦٣) ، ويقولون برمة أعشار (٦٤) ، وثوب أهدام (٦٥) .

قـــال :

جاء الشتاء وقميص أخلاق (٦٦)

---

(٦١) المائدة : ٦ ، وهو متفق مع ابن قتيبة فى المراد بالآية هنا ، تأويل مشكل القرآن ٢٨٥ .

(٦٢) التحريم : ٤ ، ونفس الآية مثل بها ابن قتيبة أيضا وكذا قولهم قوم عدل ، ولعل ابن فارس قد نقل الكثير من هذه الأمور عن ابن قتيبة دون أن يشير الى ذلك ، وقد لوحظ أن بعض الأمثلة التى مثل بها بن فارس وما ذكر بعدها من معان فى هذا الباب موجودة بالنص عند ابن قتيبة ، انظر تأويل مشكل القرآن ٢٨٥ ، والصاحبى ١٨١ ، ١٨٢ .

(٦٣) ما ذكره هنا بعينه وأمثلته عند ابن قتيبة ، انظر تأويل مشكل القرآن ٢٨٦ .

(٦٤) يقال قدر أعشار ، قدور أعشار أى العظام التى تشعب لكبرها عشر قطع .

(٦٥) أصل الهدم للحائط ، وقد وصف به الثوب هنا على المجاز يقال : تهدم الثوب أى بلى وعليه هدم وأهدام أى أخلاق .

(٦٦) يقال اختلقت الثوب : لبسته حتى بلى ، وهو فى كل ذلك تجوز فى الوصف حيث أن الموصوف مفرد والوصف جمع .

ومن هذا (ما كان المشركين أن يعمروا مساجد الله) (٦٧)،انما أراد المسجد الحرام .

ويقـــــولون : أرض سبا سب يسمون كل بقعة منها سبسبا لاتساعها (٦٨) ، ومن الجمع الذى يراد به الاثنان قـــولهم : امرأة ذات أوراك ومآكم (٦٩) .

ومما ذكره فى هذا المقام ويدخل فى المجاز باقامة صيغة مقـــام أخرى قوله : ومن سنن العرب مخاطبة الواحد بلفظ الجميع ، فيقـــال للرجل العظيم انظروا فى أمرى ، وكان بعض أصحابنا يقول : انمـــا

---

(٦٧) التوبة ١٧ وللعلماء فى جمع المساجد فى الآية أقوال بعضـــها من قبيل الحقيقة ، والبعض الآخر من قبيل المجاز أو الكناية ، ومن ذلك قولهم أن المسجد موضع السجود فكل بقعة من المسجد الحرام فهى مسجد ، ومنها أن المراد أنهم لا يعمروا شيئا من المساجد فضلا عن المسجد الحرام ، وقيل: المراد المسجد الحرام وانما جمع لأنه قبلة المساجد فعامره كعامر الجمع ويوضح الشهاب الوجهين الأخيرين وبيان نوع المجاز فيهما فيقول : قـوله شيئا . من المساجد ، يعنى أنه جمع مضاف فيعم فى سياق النفى ويدخل فيه المسجد الحرام دخولا أولياء ، اذ نفى الجمع يدل على كل فرد فيلزم نفيه على الفرد المعين بطريق الكناية ، ومعنى كون المسجد الحرام امام المســاجد أى كالامام للمساجد لتوجه محاربيها اليه توجه المقتدى لجهة امامه فيكون التعبير عنه بالجمع مجـازا علاقته المشابهة ، حاشـية الشـهاب ٤/٣١٠ ، وانظر التفسير الكبير ٤/٤٠٩ ، والصاحبى ١٨٦ .

(٦٨) كأنه استعير هنا لفظ الجمع للاتساع مما يدل على أن كل قطعة منها أرض بذاتها .

(٦٩) المآكمتان : اللحمتان الناتئتان من العجز ، وانما جمعهما هما والوركان للدلالة على الضخامة فكأنه شبه الأثنان بالجمع .

يقال لأن الرجل العظيم يقول : (٧٠) نحن فعلنا ، فعلى هذا الابتداء خوطبوا في الجواب بمثل ألفاظهم .

قال الله جل ثناؤه « قال رب ارجعون » (٧١) .

ـ ومن اقامة صيغة مقام أخرى كذلك ما ذكره ابن فارس نقلا عن ابن قتيبة نسبة الفعل الى الشيئين وهو لأحدهما قوله تعالى « مرج البحرين يلتقيان ـ ثم قال يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان » (٧٢) وانما يخرجان من الملح لا العذب .

---

(٧٠) وهذا من قبيل تربية المهابة في نفس السامع ، والذي قال ذلك هو ابن قتيبة ونقله عنه ابن فارس ، تأويل مشكل القرآن ٢٩٣، والصاحبي ١٨٢ .

(٧١) المؤمنون ٩٩ والآية عند ابن قتيبة كذلك من خطاب الواحد بلفظ الجميع ، وعند الشهاب من استعارة لفظ مكان آخر ، يقول الشهاب مبينا نوع المجاز هنا وعلاقته : والذي خطر لي أن هنا استعارة أخرى غير ما ذكر في المعاني ، ولكونها لا علاقة لها بالمعنى لم تذكر ، وهي استعارة لفظ مكان آخر لنكتة بقطع النظر عن معناه وهو كثير في الضمائر كاستعمال الضمير المجرور الظاهر مكان المرفوع المستتر في كفى به حتى لزم انتقاله عن صفة الى صفة أخرى ومن لفظ الى آخر ، وما نحن فيه من هذا القبيل حاشية الشهاب ٦/٢٤٦ ، والاتقان ٣/ ١٣٠ وعند الرازي : أن المخاطب ملائكة قبض الأرواح وهم جمع ، أو المراد بالخطاب الله تعالى وذكر بلفظ الجمع للتعظيم ، التفسير الكبير ٦/٢٠٧ .

(٧٢) الرحمن ٢٢ والمراد عند الزمخشري أحد أمرين انه لما التقيا وصار كالشيء الواحد جاز أن يقال : يخرجان منهما ، كما قال : يخرجان من البحر ولا يخرجان من جميع البحر ، ولكن من بعضه ، وتقول : خرجت من

=

ثم يقول : وينسبون الفعل الى الجماعة وهو واحد منهم قال الله « واذا قتلتم نفسا » (٧٣) وانما كان القاتل واحدا .

كما ينسب الفعل الى أحد اثنين وهو لهما (٧٤) ، قال الله جل ثناؤه « واذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا اليها » (٧٥) وانما انفضوا اليهما وقال « والله ورسوله أحق أن يرضوه » (٧٦) وقال « واستعينوا

=

البلد وانما خرجت من دار واحدة من دوره ـ وعلى هذا فيكون من قبيل المجاز المرسل باطلاق الكل على الجزء ـ وقيل : لا يخرجان الا من ملتقى الملح والعذب ، الكشاف ٤/٤٥ ، وانظر تأويل مشكل القرآن ٢٨٧ والاتقان ٣/١٣٠ .

(٧٣) البقرة ٧٢ ، يقول الشهاب : ان هذا مجاز حيث أسند الى الكل ما صدر عن البعض كما صرح به الزمخشري في سورة مريم ، حاشية الشهاب ٢/١٨٣ ، والكشاف ٢/٥١٧ ، والاتقان ٣/١٣١ .

(٧٤) وهذا اللون أيضا نقله أحمد بن فارس مع أمثلته من ابن قتيبة انظر تأويل مشكل القرآن ٢٨٨ .

(٧٥) الجمعة ١١ والآية عند الزمخشري من قبيل الحذف حيث يقول تقديره : اذا رأوا تجارة انفضوا اليها أو لهوا انفضوا اليه فحذف أحدهما لدلالة المذكور عليه ، لكشاف ٤/١٠٦ .

(٧٦) التوبة ٦٢ ، وقد استشهد البلاغيون بالآية الكريمة على حذف المسند احترازا عن العبث ، كما جوزوا فيها وجها آخر وهو أن لا تفاوت بين رضا الله ورضا رسوله فكانا في حكم مرضى واحد ، ويقول السيد عن هذا الوجه : وفيه اعتبار لطيف هو التنويه برفعة شأنه وعلو مكانه صلى الله عليه وسلم ، المصباح ١/٢٠٩ ، والكشاف ٢/١٩٩ والايضاح ١/٨١ .

بالصبر والصلاة وانها لكبيرة » (٧٧) ثم قال الشاعر :

ان شرخ الشباب والشعر الأســود
ما لم يعــاص كان جنـــونا (٧٨)

ان شرخ الشباب والشعر الأسود ما لم يعاص كان جنونا (٧٨)
وقال آخر :

نحن بما عندنا وأنت بما عنــــدك راض والرأى مختلف (٧٩)

ــ ومما ذكره أيضا أمر الواحد بلفظ أمر الاثنـــين (٨٠) حيث تقول العرب افعلا ذاك ويكون المخاطب واحدا ، أنشد الفراء :

فقلت لصــاحبى لا تحبســـانا بنزع أصوله واحد زشيحا (٨١)

---

(٧٧) البقرة :٤٥ وذكر الرازى : أن الضمير عائد الى الصلاة ، أو الى الاستعانة المفهومة من قوله واستعينوا ، أو عائد الى جميع الأمور التى أمر بها بنو اسرائيل ، والعرب قد تضمر الشىء اختصارا أو تقتصر فيه على الايماء اذا وثقت بعلم المخاطب ، التفسير الكبير ٣٢٨/١ .

(٧٨) البيت لحسان بن ثابت ، وقا ابن الشجرى : قال ما لم يعاص ، فأفرد الضمير وذلك لأن كل واحد منهما بمنزلة الآخر فجريا مجرى الواحد ، ألا ترى أن شرخ الشباب هو اسوداد الشعر ؟ ، انظر تأويل مشكل القرآن ٢٨٨ .

(٧٩) هذا البيت شاهد على حذف المسند للاختصار والاحتراز عن العبث فى الظاهر مع ضيق المقام ، الايضاح ٨١/١ ، والمصباح ٢٠٩/١

(٨٠) وهذا أيضـا مأخوذ بأمثلتـه من تأويل مشـكل القرآن ٢٩١ والصاحبى ١٨٦ .

(٨١) البيت منسوب لمضرس الأسدى أو ابن الطثرية،وأراد بالصاحب =

وقال الله جل ثناؤه « ألقيا فى جهنم » (٨٢) وهو خطاب لخـزنة النار أو الزبانية .

كما يذكر فى باب معانى أبنية الأفعال خروج بعض الصـيغ عن أصلها حيث يقول : وفاعل يكون من اثنين نحو ضارب ، ويكون بمعنى فعل نحو « قاتلهم الله » (٨٣) وتفاعل يكون من اثنين نحو تخاصما ، ويكون من واحد نحو تراءى له ، ويكون اظهارا لغير ما هو عليـه نحو هتغافل ، أي أظهر غفلة وليس بغافل .

=

من يحتطب له وخاطبه بلفظ الاثنين ، والمعنى لا تحبسنا عن شى اللحم بأن تقطع أصول الحطب وعروقه ولكن اكتف بقطع الشيح لأنه أسهل ، انظر تأويل مشكل القرآن ص ٢٩١ .

(٨٢) ق ٢٤ ، وقد ذكرها السيوطى تحت المجاز باقامة صيغة مقام أخرى وذلك باطلاق المثنى على المفرد ، وعند الزمخشرى أن الخطاب قد يكون على حقيقته لقوله : الخطاب فى (ألقيا) من الله تعالى للملكين السابقين ــ السائق والشهيد ــ ويجوز أن يكون خطابا للواحد على وجهين : أحدهما قول المبرد ان تثنية الفاعل نزلت منزلة تثنية الفعل لاتحادهما كأنه قيل : ألق ألق للتـأكيد ، والثانى أن العرب أكثر ما يرافق الرجـل منهم اثنان فكثر على ألسنتهم أن يقولوا صاحبى ، وقفا حتى خاطبوا الواحد خطـاب الاثنين ، وقرأ الحسن « ألقين » بالنون الخفيفة ، الكشـاف ٨/٤ والاتقان ١٢٩/٣ .

(٨٣) التوبة ٣٠ وردت هذه الآية عند ابن قتيبة فى باب مخالفة اللفظ ظاهر معناه عن طريق الدعاء على جهة الذم لا يراد به الوقوع وقـد انتقده فى ذلك ابن فارس كما سبق ، ولم يتعرض ابن قتيبة لمعنى المفاعلة هنا وقد جعلها الزمخشرى والرازى من باب التعجب ، تأويل مشكل القرآن ٢٨٥ والكشاف ١٨٥/٢ ، والتفسير الكبير ٤٢٤/٤ والصاحبى ١٨٩ .

وقوع المجاز في الإعداد :

يذكر ابن فارس أن « الرتب في الأعداد ثلاث : رتبة الواحـد ، ورتبة الاثنين ، ورتبة الجماعة ، فهي للتوحيد والتثنيـة والجمع ، لا يزاحم في الحقيقة بعضها بعضا » •

فإن عبر عن واحد بلفظ جماعة وعن اثنين بلفظ جماعة فذلك كله مجـاز •

وقول القائل : ان أقل ذلك أن يجمع واحد الى واحد ، فهذا مجاز ، وانما الحقيقة أن يقال : كان واحد فثنى ثم جمع ، ولو كان الأمر على ما قالوه لما كان للتثنية ولا للاثنين معنى بوجه ، ونحن نقول : خرجا ويخرجان فلو كان الاثنان جمعا لما كان لقولنا : يخرجان معنى ، وهذا لا يقـوله أحد (٨٤) •

باب الإسـتعارة

يتكلم ابن فارس كذلك عن الإستعارة ويذكـر لها الأمثلة من القرآن وغيره ويلاحظ أنه ذكر فيها أمثلة للتشبيه وأخرى تصلح للكناية وكان حديثه عنها في أكثر من موضع من الكتاب •

---

(٨٤) الصاحبى ١٦٠ يرى بعض العلماء ن اسم الجمع يشترك فيه ما وراء الواحد بدليل قوله (فقد صغت قلوبكما) وذكر السيد أن السكاكى لم يرتض كون الاثنين جمعا لأن الجمع هو العدد الزائد على الاثنين لا الاثنان وأن الجمع اذا أطلق على ما هو أزيد من اثنين بأقل من واحد كان مجازا أيضا كما فى قوله (الحج أشهر معلومات) البقرة ١٩٧ •
انظر الشاف ٣٤٦/١ ، والمصباح للسيد الشريف ٢٤٥/١ •

يقول : ومن سنن العرب الاستعارة ، وهو أن يضعوا الكلمة للشيء استعارة من موضع آخر فيقولون : انشقت عصاهم (٨٥) ، اذا تفرقوا وذلك يكون للعصا ولا يكون للقوم ، ويقولون : كشفت عن ساقها الحرب (٨٦) .

وفى كتاب الله تعالى « كأنهم حمر مستنفرة » (٨٧) يقولون للرجل المذموم انما هو حمار ، وقال الشاعر :

دفعت الى شيخ بجنب فنائه
هو العير الا أنه يتكلم

---

(٨٥) على تشبيه الفرقة بينهم بانشقاق العصا وضعفها ، أو هو كناية عن الفرقة ، قال أبو عبيد الأصل فى العصا الاجتماع ولا تدعى عصا حتى تكون جميعا ، وهو مثل أصله أن الحاديين يكونان فى رفقة فاذا فرقهم الطريق شقت العصا التى معهما فأخذ هذا نصفها وهذا نصفها ، مجمع الأمثال ٣٦٤/١ وأساس البلاغة ٢٣٩ .

(٨٦) الساق هنا اما مجاز عن الشدة باستعارتها لها ، أو تشبه الحرب بالرجل الذى جد فى أمر فكشف عن ساقه للقيام بذلك على سبيل الاستعارة بالكناية ، انظر الكشاف ١٤٧/٤ ، والتفسير الكبير ١٩٢/٨ ، أو المراد الكناية عن الشدة وصعوبة الخطب .

(٨٧) المدثر ٥٠ ، وهذا وما بعده من باب التشبيه حيث شبههم فى اعراضهم ونفارهم عن سماع الحق بحمر نافرة من الأسد ، وقيل « فعل » بمعنى استفعل كعجب واستعجب والأحسن أنه للمبالغة ، كأنها لشدة العدو تطلب النفار من نفسها ، حاشية الشهاب ٨٠/٨ والكشاف ١٨٨/٤ ، والبيان عند الشهاب ٢٨/١ .

ومنه قوله تعالى « والتفت الساق بالساق (٨٨) — أانا لمردودون في الحافرة » (٨٩) أى فى الخلق الجديد .

و « بل ران على قلوبهم » (٩٠) وتقول العرب ران به النعاس أى غلب عليه ، و « لقد خلقنا الانسان فى كبد » (٩١) أى ضيق وشدة

---

(٨٨) القيامة ٢٩ والاستعارة هنا واقعة فى الساق بمعنى الشدة على أحد الوجوه المذكورة فى الآية ، يقول الزمخشرى : التفت ساقه بساقه عند الموت ، وقيل شدة فراق الدنيا بشدة اقبال الآخرة على أن الساق مثل فى الشدة أو ساقاه حين تلفان فى أكفانه ، الكشاف ٤/١٩٣ .

(٨٩) النازعات ١٠ ، يقال رجع فلان فى حافرته أى فى طريقه التى جاء فيها فحفرها أى أثر فيها بمشيه فيها ، جعل أثر قدميه حفرا ، فهى فى الحقيقة محفورة الا أنها سميت حافرة كما قيل عيشة راضية وماء دافق أي منسوبة الى الحفر والرضا والدفق أو كقولك نهارك صائم ، أى أن هذا من قبيل المجاز العقلى فى كلمة حافرة .

انظر الكشاف ٤/٢١٢ والتفسير الكبير ٨/٣٢٠ والصاحبى ١٧٣ .

(٩٠) المطففين ١٤ ، والآية استعارة أى ركبها كما يركب الصدأ وغلب عليها ، انظر الكشاف ٤/٢٣٢ ، والتفسير الكبير ٨/٣٥٤ .

(٩١) البلد ٤ ، وفى لفظ الكبد على ما يبدو مجاز مرسل من اطلاق الخاص على العام لقول الزمخشرى : أصله من قولك كبد الرجل فهو أكبد اذا وجعت كبده وانتفخت فاتسع فيه حتى استعمل فى كلب تعب ومشقة ومنه اشتقت المكابدة ، وذكر الرازى وجوها أخرى ، وفى قوله « فى كبد » استعارة تبعية فى الحرف لقول الرازى : انه يدل على أن الكبد قد أحاط به احاطة الظرف بالمظروف انظر الكشاف ٤/٢٥٥ ، والتفسير الكبير ٨/٤٠٤ .

و « لنسفعا بالناصية » (٩٢) و « امرأته حمالة الحطب » (٩٣) وقوله « فما بكت عليهم السماء والأرض » (٩٤) ٠

وتقول العرب : ناقة تاجرة ، أي أنها تنفق نفسها بحسنها (٩٥)

---

(٩٢) العلق ١٥ ، وفي ذلك وجوه أن اطلاق القبض على السحب مجازا ، أو السفع كناية عن الاذلال والاهانة على اعتبار أن السفع هنا بمعنى السواد ، انظر التفسير الكبير ٤٤٠/٨ ٠

(٩٣) المسد ٤ ، قال ابن قتيبة : المراد بالحطب النميمة حيث شبهوا النميمة بالحطب والعداوة والشحناء بالنار لأنهما يقعان بالنميمة كما تلتهب النار بالحطب ٠

وذكر الرازي وجوها أخرى منها أن المراد : ما حملت من الآثام في عداوة الرسول صلى الله عليه وسلم لأنه كالحطب في تصييرها الى النار ، ونظيره أنه تعالى شبه فاعل الاثم بمن يمشي وعلى ظهره حمل قال «فقد احتملوا بهتانا » انظر تأويل مشكل القرآن ١٦٠ والتفسير الكبير ٥٢٨/٨ ٠

(٩٤) الدخان ٢٩ ، ذكر الشهاب أن في الآية استعارة تمثيلية ، وقال الزمخشري : ان في ذلك تهكم بهم وبحالهم المنافية لحال من يعظم فقده فيقال فيه : بكت عليه السماء والأرض ، أو المراد فما بكى عليهم أهل السماء وأهل الأرض ، وعلى هذا الوجه يكون من قبيل المجاز المرسل باطلاق المحل وارادة الحال أو يكون من مجاز الحذف ، وقد قال بالوجهين كذلك ابن قتيبة والرازي وزاد وجها آخر وهو أن لكل مؤمن بابان باب يخرج منه رزقه وباب يدخل منه عمله فاذا مات فقداه وبكيا عليه وقوم فرعون بخلاف ذلك وليس لهم عمل صالح فلم يبك عليهم أحد ، انظر حاشية الشهاب ٩/٨ والكشاف ٥٠٤/٣ ، وتأويل مشكل القرآن ١٦٧ ، والتفسير الكبير ٤٥٣/٧ والصاحبي ١٧٤ ٠

(٩٥) أي أنه استعير التجارة لنفاق الناقة ورواجها عند البيع بسبب حسنها ويمكن أن يكون في اسناد التجارة الى الناقة مجاز عقلي ٠

وقوله « ويتخطف الناس من حـــولهم » (٩٦) و « ألم تر أنهم في كل واد يهيمون » (٩٧) و « ألا انما طائرهم عند الله » (٩٨) ويراد حظهم وما يحصل لهم ، والعرب تقول :

فاني لست منك ولست مني

اذا ماطار من مالي الثمين (٩٩)

أي حصل ، ومنه « أقم الصلاة (١٠٠) أي ائت بها كما أمرت به، و « ان ربك أحاط بالناس » (١٠١) أي عصمك منهم .

---

(٩٦) العنكبوت ٦٧ ، قال أبو السعود معنى يتخطف أي يختلسون من حولهم قتلا وسبيا اذ كانت العرب حوله في تغاور وتناهب ، ويبدو أن الخطف مستعار للاختلاس ، تفسير أبي السعود بهامش الرازي ٣٨٩/٧ .

(٩٧) الشعراء ٢٢٥ ، قال الرماني : « واد » هنا مستعار وكذلك الهيمان ، وهو من أحسن البيان ، وحقيقته : يخلطون فيما يقولون ، وقال الزمخشري : ذكر الوادي والهيوم فيه تمثيل لذهابهم في كل شعب من القول واعتسافهم وقلة مبالاتهم بالغلو في المنطق ومجاوزة الحد ، النكت ١٦ والكشاف ١٣٣/٣ .

(٩٨) الأعراف ١٣١ ، قال الزمخشري : المراد أن سبب شؤمهم عند الله وهو عملهم المكتوب ، وقال الشهاب : لما كانت العرب تتيمن بالسانح من الطير وتتشاءم بالبارح ونسبوا الخير والشر الى الطائر استعير لما كان سببهما من قدر وقسمة أو من عمل العبد الذي هو سبب الرحمة والنعمة الكشاف ١٠٦/٢ ، وحاشية الشاب ٥١/٧ والتفسير الكبير ٢٧٩/٤ .

(٩٩) الظاهر أن الطيران هنا مستعار لاذهاب المال على عكس ما ذكر .

(١٠٠) هود ١١٤ ، وقدذهب الشهاب أن الأمر باقامة الصلاة يحتمل أن يكون من قبيل الاستعارة أو المجاز المرسل أو الكناية ، راجع القسم الثاني من البيان عند الشهاب ٣٨١ .

(١٠١) الاسراء ٦٠ ، قال الشهاب: الاحاطة هنا مجاز عن شمول قدرته

=

ومن الاستعارة قولهم : زالت رحالة سابح (١٠٢) ، كنــاية عن المرأة تستعصى على زوجها ، قال الشماخ :

وكنيت اذا زالت رحالة سابح
شمت به حتى لقيت مثالهـــا

وكانت امرأته نشزت عليه وذلك قوله :

ألا أصبحت عرس من البيت جامحا
بغير بلاء سيىء ما بدا لها (١٠٣)

كما يعود ابن فارس للكلام عن الاستعارة مرة أخـــرى فى باب « التوهم والايهام » حيث يذكر أمثلة تدخل فى « الاستعارة بالكناية فيقـــول :

ومن سنن العرب التوهم والايهام (١٠٤) ، وهو أن يتــوهم أحدهم شيئا ثم يجعل ذلك كالحق ، منه قولهم : وقفت بالربع أسأله ،

=

استعارة أو تشبيه مأخوذ من أحاط بهم العدو اذ أخذ بجوانبهم لاهلاكهم ، حاشية الشهاب ٦/٤٤ .

(١٠٢) وذلك أن الرحالة السابح هو الفرس السريع القوى الجرى ، فاذا زالت قوته قالوا زالت رحالة سابح ثم استخدموا ذلك فى عصيان المرأة انظر الصحاح مادة « رحل » .

(١٠٣) الصاحبى ١٧٤ .

(١٠٤) يقصد بالتوهم ما عرف عند البلاغيين فيما بعد بالاستعارة التخيلية ، ويقول الدسوقى ملخصا المذاهب فى الاستعارة بالكناية : ومحصل الاختلاف فى المكنية يرجع الى ثلاثة أقوال : أحدها ما يفهم من كلام القدماء وهو أن المكنية اسم المشبه به المستعار فى النفس للمشبه وأن اثبات لازمه

=

وهو أكمل عقلا من أن يسأل رسما يعلم أنه لا يسمع ولا يعقل (١٠٧)
لكنه تفجع لما رأى السكن رحلوا وتوهم أنه يسأل الربع أين انتووا ؟.

وذلك كثير فى أشعارهم قال :

وقفت على ربع لميـة ناقتى
فما زلت أبكى عنده وأخاطبه
وأسأله حتى كاد ممـا أبثه
تكلمنى أحجاره وملاعبه (١٠٦)

=

للمشبه استعارة تخيلية ، والثانى : ما ذهب اليه السكاكى من أن المكنية لفظ المشبه المستعمل فى المشبه به ادعاء بقرينة استعارة ما هو من لوازم المشبه به لصورة متوهمة متخيلة شبهت به أثبتت للمشبه،والثالث للخطيب من أن المكنية التشبيه المضمر فى النفس المدلول عليه باثبات لازم المشبه به للمشبه وهو الاستعارة التخيلية ، ومحصل الخلاف فى التخيلية يرجع الى قولين أحدهما : مذهب المصنف والقوم وصاحب الكشاف أنها اثبات لازم المشبه به للمشبه ، والثانى للسكاكى : وهو أنها اسم لازم المشبه به المستعار للصورة المتوهمة التى أثبتت للمشبه ، ثم ان الزمخشرى يرى أن قرينة المكنية كما تكون تخيلية تكون أيضا استعارة تحقيقية ، فعلم أن فى المكنية ثلاثة مذاهب،وأعتقد أنه لا داعى للخوض هنا فى تفاصيل هذا الخلاف لكونه معلوما مشهورا ، شروح التلخيص وحاشية الدسوقى ٤/١٥٠ ، ١٦٦ ــ ٢٢٠ .

(١٠٥) بذا يوضح ابن فارس قرينة الاستعارة فى سؤال الربع .

(١٠٦) وقعت الاستعارة فى البيتين فى أكثر من موضع فهى فى : أخاطبه ــ وأسأله وأبثه ، وتكلمنى أحجاره ، ولا يخفى كيفية اجراء هذه الاستعارات .

وتوهم وأوهم أن ثم كلاما ومكلما ، وبين ذلك لبيد بقوله :

فوقفت أسألها وكيف سؤالنا
صما خوالد ما يبين كلامها (١٠٧)

كما يعقد بابا آخر أطلق عليه اسم الاعارة (١٠٨) وهو غير ما سبق ، ويذكر فيه أمثلة كذلك للاستعارة بالكناية فيقول : العرب تعير الشيء ما ليس له (١٠٩) فيقولون : مر بين سمع الأرض وبصرها ، ويقول قائلهم :

---

(١٠٧) الاستعارة في فوقفت أسألها ، ولا يخفى حسن موقع الاستفهام الانكارى هنا مع هذه الاستعارة ، الصاحبى ١٩٢ ، وقد نقل ابن فارس بعض الأمثلة التى مثل بها فى أول كلامه عن الاستعارة من ابن قتيبة ، تأويل مشكل القرآن ١٣٧ .

(١٠٨) فى الباب الأول الذى أطلق عليه اسم الاستعارة أورد أمثلة دارت بين كل ألوان الاستعارة وأدخل فيها أمثلة من التشبيه والكناية كما سبق توضيحه وهنا أطلق لفظ الاعارة على أمثلة من الاستعارة بالكناية .

(١٠٩) وهذا هو معنى عبد القاهر فى الفرق بين التصريحية والمكنية: وضرب آخر من الاستعارة وهو ما كان نحو قوله « اذ أصبحت بيد الشمال زمامها » هو الضرب وان كان الناس يضمونه الى الأول حيث يذكرون الاستعارة فليسا سواء ، وذاك أنك فى الأول ـ رأيت أسدا ـ تجعل للشىء الشىء ليس به ، وفى الثانى تجعل للشىء الشىء ليس له ، حيث ادعيت أن للشمال يدا ومعلوم أنه لا يكون للريح يد .. الخ ويطلق عبد القاهر على هذا أنه تشبيه على حد المبالغة .

انظر دلائل الاعجاز ٨ ٥، وأسرار البلاغة ٣١ ـ ٣٤ .

كذلك فعله والنـــاس طـــرا
بكف الدهر تقتلهم ضروبا(١١٠)

فجعل للدهر كفا ، ويقولون :

ثأرت المســمعين وقلت بوءا

بقتل أخى فزارة والخيـــار

قال الأصمعى لم يكن واحد منهما مســــمعا وانما كانا عامرا وعبد الملك بنى مالك بن سسمع فأعارهما اسم جدهما (١١١) .

كما يذكر فى صيغة أفعل لا يراد به التفضيل قولهم : جـــرى له طائر أشأم .

---

(١١٠) ومع الاستعارة فى كف الدهر فان فى قوله تقتلهم استعارة تبعية أيضا أو مجاز عقلى باسناد القتل الى الدهر .

(١١١) ويجعل الشهاب نحو هذا من قبيل التغليب ويعده من قبيل المجاز بعلاقة المصاحبة أو المشابهة وذلك فى قول البيضاوى (واله أبائك اسماعيل ..) عد اسماعيل من آبائه تغليبا للأب والجد أو لأنه كالأب ، وعقب الشهاب على ذلك بقوله : المشهور فى علاقة التغليب أنها الجـــزئية والكلية ، فقوله : أو لأنه كالأب وجه آخر المراد به أن العـم يطلق عليه أب بدون تغليب لمشابهته للأب فى كونهما من أصل واحد وقيامه مقامه كثيرا وكثر ذلك فيه فصـــح جمع أب وأب واب بمعنى أب وجد وعم على آباء كما يقال : عيون للعين الباصرة والجارية والذهب مثلا ، فلا يرد عليه أن المقابلة غير صحيحة لأن المشابهة طريق للتغليب كالمصاحبة ، ويعتذر بأنه اعتبر التغليب أولا بعلاقة المصاحبة وثانيا بعلاقة المشابهة ، حاشـــية الشـــهاب ٢٤٣/٢ والكشاف ٣١٤/١ .

وقال الفـــــرزدق :

ان الذى سمك السماء بنى لنا
عزا دعائمه أعز وأطول (١١٢)

ومما ذكره من قبيل الاستعارة بالكنـــاية كذلك ما أورده فى باب «الاشتراك» بقوله معناه : أن تكون اللفظة محتملة لمعنيين أو أكثـــر كقوله جل ثناؤه « فاقذفيه فى اليم فليلقه اليم بالساحل » (١١٣) فقوله «فليلقه» مشترك بين الخبر والأمر ، كأنه قال : فاقذفيه فى اليم يلقه اليم ، ويحتمل أن يكون اليم أمر بالقائه •

---

(١١٢) يقصد على هذه الرواية تشبيه العز بالشىء الذى يبنى عـــلى طريق الاستعارة بالكناية واسناد البناء له وهو أمر معنوى لكنه أراد أن يجعله محسا مشاهدا ويروى البيت « بنى لنا بيتا » فيـــكون البيت هنا استعارة للشرف لأنه يفتخر ، والمعروف أن هذا البيت من شواهد كون تعريف المسند اليه بالموصـولية ذريعة الى التعريض بشأن الخبر ، يقول السبكى : لا شك أن الموصـول كان ذريعة الى ذكر صـلته وذكرها ذريعة تعظيم الخبر الذى هو بناء البيت ، وذلك تدركه بالذوق ، كما يقول المغربى المذوق شاهد صدق على ذلك الايماء فانه اذا قيل ان الذى صنع هذه الصنعة الغريبة فهم منه عرفا أن ما يبنى عليه أمر من جنس الصنعة والاتقان ، فاذا قيل صنع لـ كذا كان كالتأكيد لما أشار اليه أول الكلام ، ثم فى هذا الايماء تعريض لتعظيم بناء بيتهم ، وقد دار الجدل بين البلاغيين حول هذا البيت ولا داعى للتعرض لما قالوه هنا لأن هذا ليس محله ،شروح التلخيص ٣٠٩/١ والصاحبى ٢١٦ •

(١١٣) طه ٣٩ ، قال البيضاوى : لما كان القاء البحر اياه الى الساحل أمرا واجب الحصول لتعلق الارادة به جعل البحر كأنه ذو تمييز مطيع أمره

=

كما ذكر ضمن هذا الباب أيضا ما يصلح لأن يكون من قبيـــله التهكم حيث يقول :

ومن الباب « ذرنى ومن خلقت وحيدا » (١١٤) فهـــذا مشترك محتمل أن يكون لله لأنه انفرد بخلقه ومحتمل أن يكون خلقته وحيــدا فريدا من ماله وولده .

= بذلك وأخرج الجواب مخرج الأمر ، والأولى أن تجعل الضمائر كلها لموسى مراعاة للنظـم ، وذكر الزمخشرى نفس المعنى وزاد قوله : رجـــوع بعض الضمائر الى موسى وبعضها الى التابوت فيه هجنة لما يؤدى اليه من تنـافر النظم ، وقدر أن يقال : المقذوف والملقى هو موسى فى جوف التابوت حتى لا تفرق الضمائر فيتنافر عليك النظم الذى هو أم اعجاز القرآن والذى وقع عليه التحدى ومراعاته أهم ما يجب ، وقد بين الشهاب نوع الاستعارة فى الآية فقال : قول البيضاوى كأنه ذو تمييز .. الخ اشارة الى أنه استعارة بالكناية بتشبيه اليم بمأمور منقاد واثبات الأمر تخييل ، وقيل : ان قوله (فليلقه) استعارة تصريحية تبعية ، حاشية الشهاب ٦/٢٠٠ والكشاف ٢/٥٣٦ والتفسير الكبير ٦/٣٤ .

(١١٤) المدثر ١١ قال الزمخشرى : (وحيدا) حال من الله عز وجل على معنيين : أحدهما ذرنى وحـدى معـه فانا أجزيك فى الانتقام منه عن كل منتقم ، والثانى خلقته وحدى لم يشركنى فى خلقه أحد ، أو حال من المخلوق على معنى خلقته وهو وحيد فريد لا مال له ولا ولد ، وقيل : نزلت فى الوليد ابن المغيرة وكان يلقب بالوحيد ولعله لقب بذلك بعد نزول الآية ، فان كان ملقبا به قبل فهو تهـكم به وبلقبه وتغيير له عن الغرض الذى كانوا يؤمونه من مدحه والثناء عليه بأنه وحيد قومه لرياسته ويساره وتقدمه فى الدنيا الى وجه الذم والعيب وأنه خلق وحيدا لا مال له ولا ولد فآتاه الله ذلك فكفر واستهزأ ، الكشاف ٤/١٨٢ ، الصاحبى ٢٢٥ .

ـ ويتحدث عن « الاستعارة التهكمية » فى باب ما يجـرى من كلامهم مجرى التهكم والهزء فيقول : يقولون للرجل يستجهل يا عاقل، ويقـول شاعرهم :

فقلت لسيدنا يا حليم انك أم تأس أسوا رفيقا

ومن الباب أتانى فقريته جفاء ، وأعطيته حرمانا ، ومنه قولهم :

ولم يكونوا كأقـوام عامتهم

يقرون ضيفهم الملوية الجددا

يعنى السياط ، ويقول الفرادق :

* قريناهم المأثورة البيض *

وقال عمـرو :

قريناكم فجعلنا قـراكم

قبيل الصبح مرداة طحـونا

ومن الباب حكاية عنهم « انك لأنت الحليم الرشيد » (١١٥) .

---

(١١٥) هود : ٨٧ ويذكر السيد أن هذا من الاستعارة التبعيه التهكمية من الصفة وقد أرادوا السفيه الغوى ، وقد ذكرها ابن قتيبة فى باب المقلوب هى والبيت الأول ص ١٨٥ هذا وللشهاب رأى فى الفرق بين قوله تعالى « فبشرهم بعذاب أليم » وبين قولهم « تحية بينهم ضرب وجيع » حيث يذكر أنهما ليسا سواء فى المعنى وأن الآية من قبيل استعارة أحد الضدين للآخر ، وأن الثانى نوع من خلاف مقتضى الظاهر يقال له التنويع وهو ادعاء أن للمسمي نوعين : متعارفا وغير متعارف على طريقة التخييل ، ويجرى فى مواطن شتى :

(أ) منها التشبيه كقوله « نحن قوم ملجن ٠٠ الخ »

=

كلامه عن أمثلة من الاستعارة التبعية فى الحرف :

وضح ابن فارس بعض أمثلة الاستعارة التبعية فى الحرف فقال :

=

(ب) ومنها أن ينزل ما يقع فى موقع شىء بدلا عنه منزلته بلا تشبيه ولا استعارة كما فى الاستثناء المنقطع وما يضاهيه سواء كان بطريق الحمل كما فى « تحية بينهم ضرب ... » أو بدونه كما فى قوله « فاعتبوا بالصيلم»

وحيث أطلق التنويع فالمراد به هذا ، وقد جعلوا مثاله أساسا وقاعدة له وليس هذا من المجاز لذكر طرفيه مرادا بهما حقيقتهما ولا تشبيها لأن التشبيه يعكس معناه ويفسده ، ومنه يعلم أنه يصح فيه الاستعارة أيضا لابتنائها على التشبيه ، وقد صرح به الشيخ فى دلائل الاعجاز فقال : اعلم أنه لا يجوز أن يكون سبيل قوله (لعـاب الأفاعى القاتلات لعابه) سـبيل قولهم : عتابه السيف ، وذلك انك تشبه فى بيت أبى تمام شيئا بشىء لجامع بينهما فى وصف وليس المعنى فى عتابه السيف على أنك تشبه عتابه بالسيف وذلك أن تزعم أنه يحمل السيف بدل العتاب ، ألا ترى انه يصح أن تقول مداد قلمة قاتل كسم الأفاعى ولا يصح أن تقول : عتابه كالسيف الا أن يخـرج الى باب آخر ليس غرضـهم بهذا الكلام فتريد انه قد عاتب عتابا خشنا مؤلمـا ، ثم انك اذا قلت : السـيف عتابه خرجت به الى معنى حادث وهو أن تزعم أن عتابه قد بلغ فى ايلامه وشدة تأثيره مبلغا صـار له السيف كأنه ليس بسيف ، وليس الشيخ أول من صرح به فانه مصرح به فى باب الاستثناء فى كتاب سيبويه وغيره وقد نبه عليه السكاكى فى قسم الاستدلال ، وفصله الزمخشرى فى تفسير قوله تعالى « يوم لا ينفع مال ولا بنون » وقد فصلناه هنا لأن كثيرا من المصنفين اضطرب فيه كلامهم ، فتارة يجعلونه تشبيها ، وتارة استعارة ، وخبط بعضهم فى ذلك خبط عشواء انظر القسم الأول من البيان عند الشهاب ١٧٤ ـ ١٧٧ ، والمصباح ٢/٨٠٥ ودلائل الاعجاز ٢٤٠ ، وكتاب سيبويه ٣٦٥ ، ومفتاح العلوم ١٧٦ ، ٢٤١ والصاحبى ٢١٥ .

ان « ف » تكون بمعنى «على» كقوله تعالى « ولأصلبنكم ف جــــذوع النخل » (١١٦) ، وكان بعضهم يقول : انما قال ف جذوع النخل لأن

---

(١١٦) طه ٧١ ، اختلف العلماء فى معنى حرف الجر « فى » هنا فمنهم من يقول بأنه هنا نائب عن « على » والبعض الآخر يذكر أن الحرف فى الآية مستعار استعارة تبعية يقول المبرد : وحروف الخفض يبدل بعضها اذا وقع الحرفان فى معنى فى بعض المواضع ، قال الله (ولأصلبنكم فى جذوع النخل » أى « على » ولكن الجذوع اذا أحاطت دخلت « فى » لأنها للوعاء يقال فلان فى النخل أى قد أحاط به ، وذكر أن هذا الابدال يكون على حسب الأحوال الداعية والمسوغة له وأما فى كل موضع فلا ، ويقول الأمير : ومذهب جمهور الكوفيين جواز نيابة حروف الجر بعضها عن بعض بلا شذوذ قال فى المغنى : فعليه حرف الجر مشترك وضعا بين جميع ما ورد له ولا ينافيه ذكر النيابة لأنهم لما رأوا هذا المعنى متبادرا من الحرف اكثر من تبادره من الآخر حكموا بأن الآخر نائب وان كان كل منهما يستعمل فيه حقيقة ، فمن هذا يقال أن (فى جذوع النخل) على مذهبهم بمعنى « على » ولا تجوز ولا شىء ، ويقول الدسوقى : ان مفهوم كلام ابن هشام أن فى الآية استعارة بالكناية فشبه المصلوب بحال فى ظرف بجامع التمكن ، ثم طوى ذكر المشبه به وذكر « فى » تخييل وهذا عند السكاكى ، والمشهور أنه استعارة تبعية شبه الاستعلاء بالظرفية الكلية فسرى التشبيه الكلى للجزئى ، وهو مذهب السعد ، وذهب الرازى الى أن فى الآية استعارة حيث شبه تمكن المصلوب فى الجذع بتمكن الشىء الموعى فى وعائه ، وضعف كون « فى » بمعنى « على » وذهب الشهاب أيضا الى أن فى الآية استعارة تبعية بتشبيه شدة حاله بدخول المظروف فى ظرفه لشدة تمكنه فيه ، الكامل ٢/٨٢ ، رسالة الأمير على البسملة ورقة ٣ ، تقرير الانبابى على حاشية الصبان ٢/٣٠ وحاشية الدسوقى على المغنى ١١٩ ، التفسير الكبير ٦/٥٦ ، وحاشية الشهاب على البيضاوى ٦/٢١٦ وانظر شروح التلخيص وحاشية الدسوقى ٤/١٢٢ .

الجذع للمصاوب بمنزلة القبر للمقبور (١١٧) فلذلك جاز أن يقال فيه هذا (١١٨) .

وفى موضع آخر ذكر مثالا من الاستعارة تحت « باب نظم العرب لا يقوله غيرهم » حيث يقول : يقولون عاد فلان شيخا ، وهو لم يكن شيخا قط ، وعاد الماء آجنا ، وهو لم يكن آجنا فيعود ، ومن هذا فى كتاب الله « يخرجونهم من النور الى الظلمات » (١١٩) وهم لم يكونوا فى نور قط ، ومثله « يرد الى أرذل العمر » (١٢٠) وهو لم يكن فى ذلك قط .

---

(١١٧) وهذا معنى الاستعارة فى الآية .

(١١٨) الصاحبى ١٢٨ .

(١١٩) البقرة ٢٥٧ ولعل ابن فارس لم يتنبه للاستعارة فى هذا ، يقول البيضاوى (الله ولى الذى آمنوا) المراد بهم من أراد ايمانه وثبت فى علمه أنه يؤمن (يخرجهم) بهدايته (من الظلمات) من ظلمات الجهل والشبه المؤدية الى الكفر الى (النور) الى الهدى الموصل الى الايمان ، ويقول الشهاب موضحا ذلك : قوله من أراد ايمانه لأن من آمن حقيقة فهو مخرج من الكفر ، وكذا الذين كفروا محمول على العزم والتصميم ، فلابد أن يحمل ايمانهم الذى خرجوا منه على الايمان الفطرى ، وكفرهم الذى هم عليه على الارتداد ، والظلمات على هذا الكفر والنور الايمان ، وهناك وجه آخر : وهو أن يكون آمنوا وكفروا على ظاهره ، بأن يراد بالظلمات الشبه ، وبالنور اليقين والبينات ، وهما استعارتان على الوجهين ، هذا ما ذكره الزمخشرى لكن البيضاوى خلط بين الوجهين ، حاشية الشهاب ٣٣٦/٢ ، وانظر الكشاف ٣٨٧/١ .

(١٢٠) النحل ٧٠ والحج ٥ ، وانظر التفسير الكبير ٣٣٤/٥ والصاحبى ٢٢٣ .

كلام ابن فارس عن الكناية (١٢١) :

تكلم ابن فارس عن الكناية فى أكثر من موضع من الصاحبى فقد أورد مجموعة من أمثلة الكناية ضمن مراتب الكلام وقد ذكر على أنها من الايماء يفصح به قائله الى خبر لم يفصح به .

فقـــول القائل : لم أفر يوم عينين (١٢٢) ، ورويدا ســـوقك بالقـــوارير (١٢٣) ... الخ .

ومن الأشياء التى أوردها مستعملة بمعنى الكناية «ذات» حيث يقول : وتكون كناية عن ساعة من يوم أو ليلة أو غير ذلك كقولك ذات يوم ، وذات عشية ، وتكون كناية عن الحال كقوله :

وأهل خباء صالح ذات بينهم
قد أحتربوا فى عاجل أنا آجله

ون هذا قوله جل ثناؤه « وأصلحوا ذات بينـــكم » (١٢٤) أى

---

(١٢١) وقد ذكر العلماء عدة أسباب وفوائد لاستخدام أســـلوب الكناية منها : التنبيه على عظم القدرة وترك اللفظ الى ماهو أجمل ، أن يكون التصريح مما يستقبح ذكره وقصد الاختصار ، والتنبيه على المصير ، وفطنة المخاطب ، وتحسين اللفظ ، وقصد البلاغة .. الخ
انظر البرهان ٢/٣٠٠ ، والاتقان ٣/١٥٩ .

(١٢٢) الظاهر ان هذا المثال من قبيل التعريض بانسان اخر فى هذا اليوم أو هو مثل يضرب تعريضا بمن فر من شيء ما ، وهو يوم لبنى نهشل على عبد القيس ، انظر العمدة ٢/٢٠٧ القوارير كناية عن النســـوة وهذا حديث قاله النبى صلى الله عليه وسلم لأنجشة عندما كان يحدو بالابل التى تحمل النسوة ، انظر البرهان فى علوم القرآن ٢/٣٠٠ .

(١٢٤) الصاحبى ٤١ .

الحال بينكم وأزيلوا المشاجرة (١٢٥) .

ـــ كما عقد بابين آخريين تحـــدث فيهما عن أمثلة الكنـــاية أحـــدهما :

« باب الايماء » (١٢٦) حيث قال : العرب تشير الى المعنى اشارة وتومىء ايماء دون التصريح فيقول القائل : لو أن لى من يقبل مشورتى لأشرت ، وانما يحث السامع على قبول المشورة ، وهو فى أشعارهم كثير ، قال الشاعر (١٢٧) :

---

(١٢٥) الآية (١) الأنفال ، وقد جعلها ابن قتيبة مما أشكل وغمض بالاختصار وقدره أى فرقوها على السواء ، ويقول الزمخشرى : حقيقة قوله « ذات بينكم » أحوال بينكم ، يعنى ما بينكم من الأحوال حتى تكون أحوال ألفة ومحبة واتفاق كقوله « بذات الصدور » وهى مضـــمراتها لما كانت الأحـوال ملابســـة للبين قيل لها ذات البين كقولهم : اسقنى ذا انائك ، يريدون ما فى الاناء من الشراب ، ويفهـــم من قول الزمخشرى « لما كانت الأحوال ملابسة » أن هذا قد يكون من قبيل المجاز المرسل ، انظر الكشاف ٢/١٤١ ، ٤٧٥ ، وأساس البلاغة ١٤٧ ، وتأويل مشكل القرآن ٢٢٠ .

(١٢٦) الصاحبى ١٢٥ .

(١٢٧) لقد أطلق على الكناية عدة اسماء تداولها العلماء فى كتبهم فقد وردت عند ابن المعتز باسمها المتعارف عليه ، ووردت عند قدامة وأبى هلال باسم الأرداف ، ووردت عند ابن رشيق تحت باب الاشـــارة وذكر أنواعها التى عرفت عند السكاكى من ايماء ورمز .. الخ . كما وضـح عبد القاهر مفهومها بأن يريد المتكلم اثبات معنى من المعانى فلا يذكره باللفظ الموضوع له فى اللغة ولكن يجىء الى معنى هو تاليه وتابع له فى الوجود فيومىء بـه اليه ويجعله دليلا عليه ، انظر البديع ٦٥ ، ونقد الشعر ٩٣ والصناعتين ٣٤١ ، والعمدة ١/٣٠٢ ودلائل الاعجاز ٥٢ .

اذا غرد المكاء (١٢٨) فى غير روضة
فويل لأهل الشـــاء والحمرات

أومأ الى الجدب وذلك أن المكاء يألف الرياض ، فاذا جـــدبت الأرض سقط فى غير روضة ، ومنه قول الأفوه :

ان بنـــى أود هـــم ما هم
للحرب أو للجدب عام الشـــموس (١٢٩)

أومأ بقوله : عام الشموس الى الجدب وقلة المطر والغيم ، أى ان كل أيامهم شموس بلا غيم ، ويقولون : هو طويل نجاد السيف ، إنما يريدون طول الرجل ، وغمر الرداء (١٣٠) ، يومئون الى الجود ، وغدا له ثوبى ، وهو واسع جيب الكم ايماء الى البذل (١٣١) .

وطرب العنان ، يومئون الى الخفة والرشاقة (١٣٢) ، وفى كتاب الله « وقل رب أعوذ بك من همزات الشـــياطين ، وأعوذ بك رب أن

---

(١٢٨) المكاء ـ بضم الميم وتشـــديد الكاف ـ طائر وجمعه المكاكى .

(١٢٩) كما يكنون عن يوم المطر بعكس ذلك كقول أبى نواس :

وشمسه حـــرة مخـــدرة   ليس لهـــا فى سمائها نور

(١٣٠) ان قولهم غمر الرداء من قبيل الاستعارة المجردة لأن الغمر من صفة الرداء ، الا أن عبد الحكيم جعل كلمة (غمر) محتملة للترشـــيح حيث قال : اذا كان من قولهم ثوب غامر أى واسع فهو ترشيح ، ولم يقل أحد من المتأخرين ان فى غمر الرداء كناية ، ولعل ابن فارس قصـــد بهذا حقيقة الرداء لاكونه استعارة على أنه وصف للثوب بالسعة الذى يلزم منه ســـعة عطاء صاحبه وكرمه ، انظر شروح التلخيص ١٢٨/٤ .

(١٣١) لأن سعة الجيب يلزمها كثرة ما يوضع فيه من مال للانفاق ،

(١٣٢) وصف العنان بالطرب وهو الخفة والنشاط يلزمه خفـــة صاحب العنان وهو الفرس وذلك كناية عن [illegible] .

يحضرون » (١٣٣) هذا ايماء الى أن يعيبونى بسوء ، ذلك أن العرب تقول : اللبن محضور ، أى تصيبه الآفات .

وأما الباب الثانى فقد أطلق عليه اسم «الكناية» وجعلها على قسمين :

أحدهما ما هو معروف فى البلاغة ، والثانى يقصد به الكناية فى عرف النحويين « أى الاضمار » .

والذى يعنينا هو القسم الأول وقد تحدث عنه ابن فارس فقال : « الكناية لها بابان » أحدهما أن يكنى عن الشىء فيذكر بغير اسمه تحسينا للفظ أو اكراما للمذكور ، وذلك كقوله جل ثناؤه : « وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا » (١٣٤) قالوا ان الجلود فى هذا الموضوع كناية عن آداب الانسان ، وكذلك قوله جل ثناؤه « ولكن لا تواعدوهن سرا » (١٣٥) انه النكاح ، وكذلك « أو جاء أحد منكم من

---

(١٣٣) المؤمنون ٩٧ ، ٩٨ ، قال الزمخشرى : أمر بالتعوذ من نخساتهم وبالتعوذ من أن يحضره أصلا ويحوموا حوله . وقال الرازى : فى (يحضرون) وجهان : أحدهما أن يحضرونى عند قراءة القرآن وقال آخرون : بل استعاذ بالله من نفس حضورهم لأنه الداعى الى وسوستهم كما يقول المرء أعوذ بالله من خصومتك بل أعوذ بالله من لقائك ، انظر الكشاف ٤٢/٣ والتفسير الكبير ٢٠٦/٦ والصاحبى ٢١٠ .

(١٣٤) فصلت ٢٢ ، فى البرهان ٣٠٥/٢ كناية عن الفروج وفى الكشاف المراد بالجلود اما ظاهرها ، وقيل الجوارح وقيل كناية عن الفروج الكشاف ٤٥٠/٣ .

(١٣٥) البقرة ٢٣٥ ، وهذا من قبيل الكناية التى ترتب عليها مجاز ، يقول الشهاب : تعارف التعبير عن الوطء بالسر لأنه يسر ثم أريد به العقد الذى هو سببه ، والأول كناية ، فيكون الثانى من المجاز لشهرة الأول ،

الغائط » (١٣٦) والغـــائط مطمئن الأرض ، كل هذا تحسين اللفظ ، والله جل ثناؤه كريم يكنى كما فى قصة عيسى وأمه عليهما السـلام « فالمسيح ما المسيح بن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام » (١٣٧) كناية عما لا بد لآكل الطعام منه .

والكناية التى للتبجيل قولهم : أبو فلان صيانة لاسـمه عن الابتذال ، والكنى مما كان للعرب خصوصا ثم تشبه غـيرهم بهم فى ذلك .

ومما ذكره ابن فارس ونقله عنه الزركشى (١٣٨) « باب نفى

ولم يجعل من أول الأمر عبارة عن العقد لأنه لا مناسبة بينهما فى الظاهر ، وجعلها الزركشى مرة من قبيل الكناية عن الجماع ومرة جعلها من قبيـل المجاز على المجاز لأن الوطء تجوز عنه بالسر وتجوز بالسرعن العقـد لأنه مسبب عنه ،وعلاقة الأول الملازمة والثانى السببية ، حاشية الشـهاب ٣٢٣/٢ والبرهان ٢٩٨/٢ .

(١٣٦) المائدة ٦ ، ذكر الشهاب كذلك أنه كنى به عن الحدث وليس فى الكلام مقدر كما توهم ، وعند أبى حيان مجاز مرسل باطلاق المحل على الحال فيه ، وذكر الزركشى أن ذلك لكثرة استعماله صار بمنزلة التصريح انظر حاشـية الشـهاب ١٤١/٣ ، والبحر المحيط ٢٦٥/٣ ، والبرهان ٣٠٤/٢ ، والصاحبى ٢١٩ .

(١٣٧) جاءت الآية كناية عن الحدث ، فى البرهان وذكر أن الجاحظ لم يرتض ذلك وذكر الرازى أن جعل ذلك كناية ضعيف لعدة وجوه : أن أهل الجنة يأكلون ولا يحدثون ، وأن الأكل دليل على الحاجة والاله لايحتاج أنه لو كان الها لقدر على دفع الم الجوع ، وكل هذا يضعف الذهاب للكناية البرهان ٣٠٤/٢ والتفسير الكبير ٤٣٦/٣ .

(١٣٨) البرهان ٣٩٥/٣ والصاحبى ٢١٨ ، ٢٢٥ .

الشيء جملة من أجل عدمه كمال صفته » كقول الله تعالى فى صفة أهل النار « لا يموت فيها ولا يحيى » (١٣٩) فنفى عنه الموت لأنه ليس بموت مريح ونفى عنه الحياة لأنها ليست بحياة طيبة ولا نافعة ، وهذا فى كلام العرب كثير •

ـ ثم يقول : ومن هذا الباب أو قريب منه قوله « لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها » (١٤٠) ومنه « ولقد علموا لمن اشتراه ماله فى الآخرة من خلاق ـ أثبت لهم علما ثم قال ـ ولبئس ما شروا به أنفسهم لو كانوا يعلمون » (١٤١) لما كان علما لم يعملوا به كانوا كأنهم لا يعلمون •

ـ كما يتحدث عن « باب نفى ضمنه اثبات » كقول الله تعالى : « لا شرقية ولا غربية » (١٤٢) قال أبو عبيدة : لاشرقية تضحى للشرق ولا غربية (١٤٣) لا تضحى للشرق لكنها شرقية غربية يصيبها ذا وذا الشرق والغرب (١٤٣) •

---

(١٣٩) الأعلى ١٣ وهذا معنى ما فى الكشاف ٤/٢٤٤ •

(١٤٩) الأعراف ١٧٩ ويقول الرازى يجب حمل الأية على أن المراد أنهم بكثرة الاعراض عن الدلائل وعدم الالتفات اليها صاروا مشبهين بمن لا يكون له قلب فاهم ولا عين باصرة ، التفسير الكبير ٤/٣٢١ وانظر الكشاف ٢/١٣١ •

(١٤١) البقرة ١٠٢ وجعل الخطيب الآية من أمثلة تنزيل العالم بالشيء منزلة الجاهل به لعدم جريه على موجب العلم ، وانتقده السيد بقوله : وحمل الأية على ذلك ليس بشيء اذ ليس ههنا الخطاب لأهل الكتاب الايضاح ١/١٨ ، والمصباح ١/٦٨ وانظر المطول ٤٦ ،

(١٤٢) النور ٣٥ ، وما ذكره هنا أحد الوجوه فى الكشاف ، ٣/٦٧ •

(١٤٣) الصاحبى ٢١٧ ، ٢١٨ •

الفصل الثالث

ما ورد فى الصاحبى من مسائل البديع

تكلم ابن فارس عن عدد من المحسنات البديعية فى كتابه الصاحبى وذكر لها الأمثلة من القرآن الكريم وغيره وقد وردت هذه المسائل فى أكثر من موضع من الكتاب ونذكرها هنا مجموعة فى موضع واحد .

ـ تأكيد المدح بما يشبه الذم (١) :

ذكر ابن فارس الضربين ومثل لهما حيث يقول : باب اخراجهم الشىء المحمود بلفظ يوهم غير ذلك ، يقولون : فلان كريم غير أنه شريف ، وكريم غير أن له حسبا .

وهو شىء تنفرد فيه العرب ، قال :

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم
بهن فلول من قراع الكتائب

---

(١) وضع البلاغيون تعريفا لكل ضرب منه على حدة وقالوا ان أفضل الضربين أن يستثنى من صفة ذم منفية عن الشىء صفة مدح بتقدير دخولها فيها ومثاله هنا هو البيت الأول ، والبيت الثانى هنا مثال للضرب الثانى وهو أن يثبت لشىء صفة مدح ويعقب بأداة استثناء تليها صفة مدح أخرى ، انظر الايضاح ٣٧٣/٢ ، وشروح التلخيص ٣٨٦/٤ وذكر ابن أبى الأصبع انه فى غاية العزة فى القرآن وذكر له مثالا واحد لكن استدرك عليه السيوطى ثلاثة أمثلة أخرى ، انظر الاتقان ٣٠٣/٣ ، ٣٠٤ والصاحبى ٢٢٤

وقـــال :

فتى كملت أخلاقه غـــير أنه
جواد فما يبقى من المـال باقيا

التجـــــريد (٢) :

كما تكلم عن التجريد ومثل لصورة منه وذلك فى قوله : هنـــاك الباء الدالة على نفس المخبر عنه والظاهر أنها لغيره قولك بفلان كريما، وانما أردته نفسه ، ومنه قولهم :

ولم يشهد الهيجاء بألوث معصم
أراد نفســـه .

المبـــالغة (٣) :

أورد ابن فارس المبالغة تحت باب الافراط فيقول : العـــرب تفرط فى صفة الشيء مجاوزة للقدر اقتدارا على الكلام كقوله :

---

(٢) امتدح العلوى لونا خاصا من التجريد وهو أن تأتى بكلام يكون ظاهره خطابا لغيرك وأنت تريده خطابا لنفسك وقال ان هذا وما شاكله من أحسن ما يوجد فى التجريد ، وقد توســـع فيه البلاغيون بعد ذلك حيث ذكروا أنه أن ينتزع من أمر ذى صفة أمرا آخر مثله فيها مبالغة فى كما لها فيه ، انظر الايضاح ٢/٣٦٣ ، والمطول ٤٣٢ ، والصـــاحبى ٧٧ والطراز ٣/٧٣ .

(٣) من المعروف أن فى المبالغة من حيث القبـــول أو الرفض ثلاثة مذاهب مشهورة ويوضح العلوى موقفه من المبالغة بعد عرض هذه المذاهب فيقول : فأما من عاب المبالغة فقد أخطأ ، فانها فضيلة عظيمة ، ولولا أنها فى أعلا مراتب علم البيان لما جاء القرآن ملاحظا لها فى اكثر احواله ، فقد

بخيل تضل البلق فى حجراته
ترى الأكم فيه سجدا للحوافر(٤)

ويقـــــولون :

لمـــا أتى خبر الزبير تواضعت
سور المدينة وخشعت الجبال(٥)
ولو أنك تلقى حنظلا فوق بيضنا
تحــــدرج . . . . . (٦)

ويقـــــولون :

ضربتـــه فى الملتقى ضربة
فزال عن منكبه الكاهـــل

أخطأ من عابها على الاطلاق ، وأما من استجادها على الاطلاق فغير مصيب على الاطلاق ايضا لأن منها ما يخرج عن الحد فيــكون مذموما ، لكن خير الأمور أوسطها فما كان من الكلام جاريا عــلى حد الاســــتقامة من غير افراط ولا تفريط فهو الحسن لامراء فيه فيكون فيه نوع من المبالغة من غير خروج ولا تجاوز حد ، وهذا النر ذكره مختار كثير من العلماء ، ويوضـــح بعد ذلك طرق المبالغة من مجيئها باستعمال اللفظ فى غير ما وضـــع له أو بترادف الصفات ، أو باتمام الكلام بما يوجب حصــــول المبالغة فيه كما تحدث عن أنواعها المعروفة من تبليغ واغراق وغلو ، انظر الطراز ٣/١١٧ وما بعدها ، والايضاح ٢/٣٦٥ ، والبرهان ٣/٥٥ ،

(٤) البلق سواد وبياض ، يقال فرس أبلق وفرس بلقاء ، واســم فرس كان يسبق الخيل .

(٥) المراد بتواضع سور المدينة التذلل والخفض ، وخشــــعت اى خضعت ،

(٦) يقال رجل حدرجان أى قصير ، والمحدرج الأملس .

فصـــار ما بينهمـا رهوة
يمشى بها الرامح والنابل (٧)

المشـــاكلة (٨) :

تحدث ابن فارس عن المشاكلة مرة بأن استخدمها فى الاجابة عن اعتراض حيث قال : وأما قولهم ان المعنيين لو اختلفـــا لما جاز أن يعبر عن الشيء بالشيء ؟

فانا نقول : انما عبر عنه عن طريق المشاكلة ، ولسنا نقول : ان اللفظين مختلفان فيلزمنا ما قالوه ، وانما نقول ان فى كل واحدة منهما معنى ليس فى الأخرى (٩) .

ومرة أخرى أورد أمثلة من المشاكلة تحت باب المحاذاة ، وجعـل المحاذاة على قسمين : قسم يقرب فى معناه من المشاكلة وهو ما عـرفه بقوله : أن يجعل كلام بحذاء كلام فيؤتى به على وزنه لفظا وان كانا مختلفين كقولهم الغدايا والعشايا ، فقالوا الغدايا (١٠) لانضـمامهما الى العشـــايا .

---

(٧) يقال : رها بين رجليه أى فتح ، والرهو والرهوة المكان المرتفـع والمنخفض يجتمع فيه الماء والرهاء الأرض الواسعة ، والرامح حامل الرمح والنابل حامل النبل ، الصاحبى ٢٢٤ .

(٨) لمعروف أن هناك خلافا بين العلماء فى كون المشاكلة من الحقيقة أو المجاز ، وقد حققت القول فى ذلك ووضـــحت آراء العلماء فى هذا فى القسم الثانى من البيان عند الشـــهاب ص ٤٩٣ ، ٤٩٤ وشرح التلخيص ٣١٠/٤ .

(٩) الصاحبى ٦٦ .

(١٠) لان جمع الغدرة الغدوات لكنها جمعت بالياء لوقوعها مصـاحبة لكلمة العشايا حتى تتفق معها فى الوزن .

وذكر بعض أهل العلم أن منه قوله « لأعذبنه عذابا شديدا أو لأذبحنه » — فان اللام فيهما لاما قسم — ثم قال «أو ليأتيني» (١١) فليس ذا موضع قسم ، لأنه عذر للهدهد ، فلم يكن ليقسم على الهدهد أن يأتي بعذر ، لكنه لما جاء به على أثر ما يجوز فيه القسم أجراه مجراه فكذا باب المحاذاة ، وقد نقل عنه الزركشي هذا بأمثلته في البرهان .

ويذكر المشاكلة وأمثلتها بعد ذلك بقوله : وقريب من هذا الباب الجزاء على الفعل بمثل لفظه (١٢) نحو « انما نحن مستهزئون . الله يستهزىء بهم » (١٣) أى يجازيهم جزاء الاستهزاء ، و « مكروا ومكر الله » (١٤) و « يسخرون منهم سخر الله منهم » (١٥) و «نسوا

---

(١١) النمل ٢١ وفى الكشاف ١٤٣/٣ أنه لما نظم الثلاثة بأن فى الحكم الذى هو ، الحلف آل الكلام الى قولك ليكونن أحد الأمور ، ويجوز أن يتعقب حلفه بالفعلين وحى من الله بأنه سيأتيه بسلطان مبين فثلث بقوله أو ليأتيني ، عن دراية وايقان ، الصاحبى ١٩٥ وانظر البرهان ٣٩١/٣ .

(١٢) هذا التعريف نقله عن ابن قتيبة وأفاد منه فى هذه الأمثلة التى ذكرها لهذا اللون ولم يزد عليه الا بيت الشعر الذى ذكره فى نهاية أمثلته راجع تأويل مشكل القرآن ٢٧٧ ـ ٢٧٩ والصاحبى ١٩٦ .

(١٣) البقرة ١٤ ، ١٥ ، وتدور أقوال العلماء فى هذا على أنه من قبيل المشاكل والاستعارة التبعية أو من المجاز المرسل بمدة علاقات حسب توجيه المعنى ، وأورد الشريف المرتضى هنا وجوها سبعة ، انظر الآراء فى الآية فى البيان عند الشهاب ٢٧/٢ ـ ٢١١ .

(١٤) آل عمران ٥٤ وهذه الأمثلة التى ذكرها هنا يرددها البلاغيون بين المشاكلة والمجاز المرسل ، بل والحقيقة ، قال الخطيب : ويحتمل أن يكون مكر الله حقيقة لأن المكر هو التدبير فيما يضر الخصم وهذا محقق من

الله فنسيهم » (١٦) و « جزاء سيئة سيئة مثلها » (١٧) ومثل هذا في شعر العرب قول القائل :

ألا لا يجهلن أحد علينـــا
فنجهل فوق جهل الجاهلينـــا

الله تعالى باستدراجه اياهم بنعمه مع ما أعد لهم من نقمه ، الايضاح ٢/٢٧٣ وجعل الرازى اطلاق المكر على الله اما استعارة أو مجاز مرسلا أو حقيقة ، وقد انتقد السبكى الخطيب فيما ذهب اليه لأن جعله بمعنى التدبير لا يصح لأن التدبير أيضا يستحيل نسبته الى الله تعالى ، التفسير الكبير ٢/٤٥٧ وعروس الأفراح ٤/٣٨ .

(١٥) التوبة ٧٩ وما قيل فى الآية الأولى يمكن أن يقال هنا ، انظر الانقان ٣/٢٢ ، وتأويل مشكل القرآن ٢٧٧ .

(١٦) ٦٧ التوبة ، معنى نسيانهم لله أنهم لا يذكرونه ولا يطيعونه لأن الذكر مستلزم لاطاعته فجعل النسيان مجازا عن الترك وهو كناية عن ترك الطاعة ، ونسيان الله منع لطفه وفضله عنهم ، وقيل انه كناية عن الترك فى حق البشر لامكان الحقيقة ، قال التحرير — أى سعد الدين — جعل النسيان مجازا لاستحالة حقيقته على الله وامتناع المؤاخذة على نسيان البشر ، حاشية الشهاب ٤/٣٤٢ .

(١٧) الشورى ٤٠ ويذكر السبكى أن هذا مجاز بعلاقة المضادة ، كما يذكر تبعا للخطيب أنه قيل ان هذا حقيقة فان السيئة ما يسوء الشخص من حق وباطل ، وهذا جا بعينه فى البيت الذى هنا وهو قوله فنجهل ، كما يذكر أن فنجهل فوق جهل الجاهلينا حقيقة قطعا لأن الجهل فوق جهل الجاهلينا ليس مكافأة لأنه ليس مثله بل زائد عليه ، وذكر أن مقابلة التأديب باكثر منه عند الجاهلية كان محمودا يمتدحون به فلبس جهلا حقيقة فصح أن تسميته جهلا مجاز ، شروح التلخيص ٤/٣٨ ، والايضاح ٢/٢٧٣ ، ٣٤٨ .

كلام ابن فارس عن القلب :

تعرض ابن فارس للقلب فى الكلمة والقلب فى غير الكلمة وذكر أن القلب فى الكلمة ليس فى كتاب الله ، ثم ذكر وقوع القلب فى الجمل عارضا لأمثلته دون أن يبين موقعه من حيث الحقيقة أو المجاز ولم يتعرض للخلاف حول جواز القول بوقوعه فى القرآن أو عدمه .

وبذكره أمثلة من القرآن له يدل على أنه لا يمنع القول بوقوعه فى كتاب الله (١٨) .

يقول ابن فارس : وأما الذى فى غير الكلمات فقولهم : كما عصب العلباء بالعود ، و — كما كان الزناء فريضة الرجم — كأن لون أرضه سماؤه ، وكأن الصفا أوراكها — .

انما أراد كأن أوراكها الصفا ، ويقولون : أدخلت الخاتم فى أصبعى ، وقولهم — تشقى الرماح بالضياطرة الحمر — وكما بطنت بالفدن السياعا — .

ومثله فى كتاب الله جل ثناؤه « خلق الانسان من عجل » (١٩) ،

---

(١٨) للعلماء خلاف حول مجازية القلب وحقيقته الى جانب اختلافهم حول وقوعه فى القرآن الكريم أو عدم وقوعه ، كما اختلفوا حول كونه من علم المعانى أو البديع ، وقد حققت ذلك فى كتابى (البيان عند الشهاب فى القسم الثانى ص ٥٤٣ — ٥٤٧ ورأيت عدم اعادته هنا ، وانظر المصباح ٢٣٦ .

(١٩) الأنبياء ٣٧ ، وليس فى الآية قلبا عند الزمخشرى ، واعتبرها ابن قتيبة من القلب ، الكشاف ٥٧٢/٢ ، وتأويل مشكل القرآن ١٩٧ .

ومنه « وحرمنا عليه المراضع من قبل » (٢٠) ومعلوم أن التحـــريم لا يقع الا على من يلزمه التكليف ، واذا كان كذا فالمعنى حرمنا عـــلى المراضع أن يرضعنه ، ووجه تحريم ارضاعه عليهن أن لا يقبل ارضاعهن حتى يرد الى أمه .

قال بعض علمائنا : ومنـــه قوله « فانهم عـــدو لى الا رب العالمين » (٢١) ، والأصنام لا تعادى أحدا ، فكأنه قال : فانى عـــدو لهم ، وعداوته لها بغضه اياها وبراءته منها (٢٢) .

---

(٢٠) القصـــص ١٢ ، والمفهـــوم من كلام الزمخشرى والـــرازى والبيضاوى أن ليس فى الآية قلبا وأن التحريم مجاز عن امنع اما استعارة أو مجاز مرسلا ، لكون الصبى غير مكلف انظر الكشاف ١٦٧/٣ ، والتفسير الكبير ٤٢٨/٦ ، وحاشية الشهاب ٦٦/٧ .

(٢١) الشعراء ٧٧ ، ذكر الشهاب أن القول بالقلب هنا تكلف ، وعد ذلك من التشبيه البليغ ، وقال ابن قتيبة بالقلب فيها ، وذكر الزمخشرى أن هنا تعريض ، حيث أراهم أنه نصحهم بما نصح به نفسه ليكون ادعى للقبول ، وقد يبلغ التعريض للمنصوح مالا يبلغه التصريح لأنه يتأمل فيه فربما قاده التأمل الى التقبل ، وذكر الرازى أنه سماهم أعداء على معنى ان الله سيحيى الأصنام فى الآخرة لتوبخهم ولذا فانها ستصير أعداء ــ وهذا مجاز مرسل بعلاقة ما سيكون ــ أو أنهم لما عظموهم ورجوا منفعتهم وفى ذلك منع لسعادة الانسان نزلوا منزلة الأحياء وجوت مجرى الجانب للمضرة فجرت مجرى الأعداء ، أو المراد عداوة من يعبدها ، انظر تأويل مشـــكل القرآن ١٩٣ ، وحاشية الشهاب ١٧/٧ ، والكشاف ١١٦/٣ والتفســـير الكبير ٣٧٦/٦ .

(٢٢) الصاحبى ١٧٢ ، ١٧٣ .

اللف والنشـــر :

ذكر ابن فارس اللف والنشر فى كتابه الصاحبى وذكر له تعريفا قريبا مما ذكره له البلاغيون بعد ذلك ومثل له بأمثلة من القرآن الكريم والشعر ، ويذكر ضابط ذلك فيقول : باب جمع شيئين فى الابتداء بهما وجمع خبريهما ثم يرد الى كل مبتدأ به خبره (٢٣) ٠

ومن ذلك قول القائل انى واياك على عدل أو على جور ، فجمع شيئين فى الابتداء وجمع الخبرين ، ومراده :انى على عدل واياك على جور ، وهذا فى كلامهم وأشعارهم كثير ، قال امرؤ القيس :

كأن قلوب الطير رطبـــا ويابســـا
لدى وكرها العناب والحشف البالى (٢٤)

أراد كأن قلوب الطير رطبا العناب ويابسا الحشف ٠

---

(٢٣) هذا التعريف ينطبق على اللف والنشر المرتب ، واما البلاغيون فقد ذكروا له تعريفا يشمل كل ألوانه وهو : ذكر متعدد على جهة التفصيل أو الاجمال ثم ذكر ما لكل واحد من غير تعيين ثقة بأن السامع يرد ما لكل من آحاد هذا المتعدد الى ماهو له لعلمه بذلك بالقرائن ، شروح التلخيص ٣٢٩/٤ والاتقان ٣٢٠/٣ ٠

(٢٤) ومع ما فى البيت من أسلوب اللف والنشر الا أنه عند البلاغيين من أجود التشبيهات حيث يقول المبرد : ان هذا باجماع الرواة حسن تشبيه شىء فى حالتين بشيئين مختلفين ، فان قيل : فهلا فصل فقال : كأنه رطبا العناب وكأنه يابسا الحشف ؟ قيل له : العربى الفصـــيح يرمى بالقول مفهوما ويرى وما بعد ذلك من التكرير عيا وهذا البيت شـــاهد لما تعدد طرفا ويسمى ملفوفا ، الكامل ٤٠/٢ ، والايضاح ١٤٧/٢ ٠

ومن هذا فى القرآن « وانا أو اياكم لعلى هدى أو فى ضلال مبين » (٢٥) ٠

معناه : وانا على هدى واياكم فى ضلال مبين ٠

ومنه قوله « قل أرأيتم ان كان من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد من بنى اسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم » (٢٦) اذا رد كل

---

(٢٥) سبأ ٢٤ ، وهذه الآية عند السكاكى من قبيل اسماع الخصم الحق على وجه لا يورث مزيد غضب وقال : ان هذا النوع من الكلام يسمى المنصف ، وهذا وصف للكلام يوصف صاحبه حيث لم يجعل لنفسه مزية على مخاطبه ، ولأن كل من سمعه قال لمن خوطب به قد أنصفك صاحبه ، ويوضح السيد بلاغة التعبير فى الآية فيقول : فان قلت : ما فائدة (أو) الأولى وهلا قيل : وانا واياكم ؟ قلت : لأن المتبادر حينئذ كون الفريقين معا اما على هدى واما فى ضلال وليس بمراد ، ولو ترك (أو) الثانية مع ترك الأولى تبادر فى الكلام أنه نشر على ترتيب اللف وخرج عن كونه كلاما منصفا وترك الثانية وحدها مما يشوش المعنى ، واعلم أنه لا تعريض فى ترديد كل من الفريقين بين الهدى والضلال ، بل فيه ترك التصريح بالتضليل المصباح ١/٣٥٠ والمفتاح ١٨ ، والكشاف ٣/٤٥٩ وجاءت الآية مثالا للتعريض عند ابن قتيبة ، تأويل مشكل القرآن ٣٦٩ ٠

(٢٦) الأحقاف ١٠ ، وقال الزمخشرى : الواو الأولى عاطفة لكفرتم على فعل الشرط وكذلك الواو الآخرة عاطفة لاستكبرتم على شهد شاهد ، وأما الواو فى وشهد شاهد فقد عطفت جملة قوله (شهد شاهد من بنى اسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم) على جملة قوله (كان من عند الله وكفرتم به) ونظيره قولك : ان أحسنت اليك وأسأت ، وأقبلت عليك وأعرضت عنى لم نتفق ، فى انك اخذت ضميمتين فعطفتهما على مثليهما ، والمعنى قل أخبرونى ان اجتمع كون القرآن من عند الله مع كفركم به واجتمع شهادة أعلم بنى اسرائيل على نزول مثله وايمانه به مع استكباركم عنه وعن الايمان فيها كناية ، الكشاف ٣/٥١٨ ، وحاشية الشهاب ٨/٢٩ ٠

شيء الى ما يصلح أن يتصل به كان التأويل : قل أرأيتم ان كان من عند الله وشهد شاهد من بني اسرائيل على مثله فآمن وكفـــرتم به واستكبرتم ، ومثله « وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنــوا معه متى نصر الله ألا ان نصر الله قريب » (٢٧) ، قالوا لمـا لم يصلح أن يقول الرســـول : متى نصر الله ؟ كان التأويل : وزلزلوا حتى قال المؤمنون : متى نصر الله ؟ فقال الرسول : ألا أن نصر الله قريب ، رد كل كلام الى من يصلح أن يكون له .

— ومن باب قول ذى الرمة :

ما بال عينك منها المـاء ينسكب	كأنه من كلى مفـــرية سرب
وفراء غرفية أثأى خـــوارزها	مشلشل ضيعته بينها الكتب (٢٨)

---

(٢٧) البقرة ٢/٤ والقول بوجود اللف والنشر فى الآية أحد الوجوه فيها وضعفه الرازى ، ولم يذكره الزمخشرى ، يقول الرازى : كيف يليق بالرسول أن يقول — استبعادا — متى نصر الله ؟ والجواب عنه من وجوه : أحدها أن كونه رسولا لا يمنع من ان يتآذى من كيد الأعداء قال تعالى (حتى اذا استيأس الرسل).. الآية فاذا قال عند ضيق قلبه متى نصر الله — وهو يعلم قربه — وعلم فى الاجابة قرب وقته زال همه ، ولو كان السؤال عن أنه هل يوجد النصر أم لا ؟ لما كان هذا الجواب مطابقا لذلك السـؤال ، وهذا هو الجواب المعتمد والجواب الثانى (كما ذكره ابن فارس) التفسير الكبير ٢٠٧/٢ والكشاف ٣٥٦/١ والاتقان ٣٢٢/٣ ، والآية شاهد كذلك على أن الاستفهام للاستبطاء .

(٢٨) الغرف شجر يدبغ به ، يقال : سقاء غرفى أى مدبوغ بالغرف ، والمراد : مزادة وبغت بالغرف ، ويقال : أثأيت الخرز اذا خرمته ، ويقال : شلشلت الماء فهو مشلشل ، أى قطرته فهو مقطر .

فمعنى البيتين : كأنه من كلى مفرية وفراء غرفية أثأى خوارزها سرب مشلشل ضيعته بينها الكتب .

وفى كتاب الله « ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله » (٢٩) المعنى : جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار لتبتغوا من فضله ، ومنه قوله عز وجل « ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداوة والعشى يريدون وجهه ما عليك من حسابهم من شىء وما من حسابهم عليك من شىء فتطردهم فتكون من الظالمين » (٣٠) تأويله — والله أعلم — ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى فتكون من الظالمين ، ما عليك من حسابهم من شىء وما من حسابك عليهم من شىء فتطردهم ، ومنه قول امرئ القيس :

فلا وأبيك ابنة العامرية
لا يدعى القوم أنى أفر
تميم بن مر وأشياعها
وكندة حولى جميعا صبر

معناه : لا يدعى القوم تميم وأشياعها أنى أفر وكندة حولى (٣١)

---

(٢٩) القصص ٧٣ وذكر فى شروح التلخيص ما قاله ابن فارس هنا وأضاف السبكى أنه قد يقال إن كلا منهما يعود الى الليل والنهار ، انظر شروح التلخيص ٤/٣٣٠ ، والاتقان ٣/٣٢١

(٣٠) الأنعام ٥٢ ، والآية عند السيوطى من نوع من البديع أسماه العكس . وهو أن يؤتى بكلام يقدم فيه جزء ويؤخر آخر ثم يقدم المؤخر ويؤخر المقدم ، الاتقان ٣/٣١٧ وانظر الكشاف ٢/٢٢ .

(٣١) الصاحبى ٢٠٦ ، ٢٠٧ .

الاستطراد (٣٢)

يقول عنه ابن فارس : باب يسميه بعض المحدثين الاستطراد وذلك أن يشبه شيء بشيء ثم يمر المتكلم فى وصف المشبه ، ومن هذا النظم قوله « ان الذين كفروا بالذكر لما جاءهم » ولم يمر للذكر خبر ثم قال « وانه لكتاب عزيز • لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد» (٣٣) وجواب «ان الذين كفروا» قوله جل ثناؤه « أولئك ينادون من مكان بعيد » (٣٤) •

---

(٣٢) عرفه الخطيب بقوله : هو الانتقال من معنى الى معنى آخر متصل به لم يقصد بذكر الأول التوصل الى ذكر الثانى ، الايضاح ٢/٣٤٩

كما عرفه العلوى بقوله : هو نوع من علم البلاغة دقيق المجرى غزير الفوائد يستعمله الفصحاء ويعول عليه أكثر البلغاء ، وهو قريب من الاعتراض خلا أن الاعتراض منه ما يقبح ويحسن ويتوسط بخلاف الاستطراد فانه حسن كله ، ومعناه : أن يشرع المتكلم فى شيء من فنون الكلام ثم يستمر عليه فيخرج الى غيره ثم يرجع الى ما كان عليه من قبل ، فان تمادى فهو الخروج وان عاد فهو الاستطراد ، وهذا التعريف هو المناسب لما ذكره ابن فارس هنا فى معنى الاستطراد ، الطراز ٣/١١ •

(٣٣) فصلت ٤١ ، ٤٢ ، وقال الرازى : قوله (ان الذين كفروا بالذكر لما جاءهم) فى جوابه وجهان : أحدهما أنه محذوف كسائر الأجوبة المحذوفة فى القرآن على تقدير : يجازون بكفرهم ، والثانى — مثل ما ذكر ابن فارس — أن جوابه (أولئك ينادون) والأول اصوب ، كما ان فى قوله (لا يأتيه الباطل من بين يديه) لون آخر وهو انه تمثيل ، قال الزمخشرى كأن الباطل لا يتطرق اليه ولا يجد اليه سبيلا من جهة من الجهات ، انظر التفسير الكبير ٧/٣٦٣ ، والكشاف ٣/٤٥٥ •

(٣٤) فصلت ٤٤ ، والصاحبى ٢٢٦ •

الاقتصـــــــاص :

تحدث ابن فارس عن عدة ألوان من نظوم القرآن ومنها هـذا البـــــاب •

وقد نقل عنه هذا الباب السيوطى فى لاتقان (٣٥) ضـــمن أبواب البديع ويعرفه ابن فارس بقوله : من نظوم كتاب الله جل ثنــــــاؤه الاقتصاص وهو أن يكون كلام فى سورة مقتصا من كلام فى ســـورة أخرى أو فى السورة معها قوله جل ثناؤه « وآتيناه أجره فى الدنيـــا وانه فى الآخرة لمن الصالحين » (٣٦) والآخرة دار ثواب لا عمـــل ، وهو مقتص عن قوله « ومن يأته مؤمنا قد عمل الصالحات فأولئك لهم الدرجات العلى » (٣٧) • •

ومنه قوله « ولولا نعمة ربى لكنت من المحضرين » (٣٨) مأخوذ من قوله « فأولئك فى العذاب محضرون » (٣٩) وقوله « ثم لنحضرنهم حول جهنم » (٤٠) •

---

(٣٥) انظر الاتقان ٣/٣٠٢ •

(٣٦) العنــــكبوت ٢٧ ، والذى عند الرازى : يعنى ليس له هذا فى الدنيا فحسب كما يكون لمن قدم له ثواب حسناته أو أملى له اســـتدراجا بل له هذا عجاله ، وله فى الآخرة ثواب الدلالة والرســـالة وهو كونه من الصالحين فان كون العبد صالحا أعلا مراتبه ، التفسير الكبير ٦/٤٨٥ ،

(٣٧) طه ٧٥ •

(٣٨) الصافات ٧٥ ، وما ذكره هنا معنى ما قاله الزمخشرى فى معنى المحضرين وهو من الذين أحضروا العذاب ــ الكشاف ٣/٣٤١ •

(٣٩) سبأ ٣٨ •

(٤٠) ٦٨ ريم •

وأما قوله « ويوم يقوم الأشهاد » (٤١) فيقال : انها مقتضـــة من أربع آيات لأن الأشهاد أربعة :الملائكة فى قوله « وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد » (٤٢) • والأنبياء صلوات الله عليهم « فكيف اذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا » (٤٣) وأمة محمد — صلى الله عليه وسلم — لقوله وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتـكونوا شهداء على الناس (٤٤) والأعضاء لقوله جل ثناؤه « يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعماون » (٤٥) •

باب الشـــعر :

يبدأ ابن فارس ببيان كون القرآن والنبى — صلى الله عليـــه وسلم — منزهين عن الشعر حيث يذكر تعريف الشعر ثم يذكر بعـد ذلك أن الله نزه كتابه عن شبه الشعر ، كما نزه نبيه — صلى الله عليه وسلم عن الشعر (٤٦) •

---

(٤١) غافر ٥١ ، وما ذكره هنـــا هـو معنى ما ذكره الزمخشرى فى الآية حيث قال (الأشهاد) أى فى الدنيا والآخرة ، والمراد بهم الحفظة من الملائكة والأنبياء والمؤمنين من أمة محمد صلى الله عليه وسلم • الكشـــاف ٤٣١/٣ •

(٤٢) ق ٢١ •

(٤٣) النساء ٤١ •

(٤٤) البقرة ١٤٣ •

(٤٥) النور ٢٤ — الصاحبى ٢٠٢ •

(٤٦) وقد أخذ عنه الزركشى هذا الـكلام وأثبته فى البرهـان عند كلامه عن تنزيه النبى صلى الله عليه وسلم والقرآن عن الشـعر ، البرهان ١١٢/٢ ، ١١٣ •

وذلك لأن الله حكم على الشعراء بقوله « والشــــعراء يتبعهم الغاوون » (٤٧) ••• الآيات فلم يكن ينبغى للنبى — صلى الله عليه وسلم — الشعر بحال لأن الشاعر بين كذب واضحاك •

وبعد فانا لا نكاد نرى شاعرا الا مادحا ضارعا أو هاجيا ذا قذع، وهذه أوصاف لا تصلح لنبى •

ثم يرد على من قال : ان فى الشعر حكمة فلم لم يقوله النبى ؟ يرد بقـــوله :

ان الله قد آتاه من الحكمة القسم الأجزل والنصيب الأوفى ، قال تعالى فى صفة نبيه « ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة » (٤٨) —

---

(٤٧) الشعراء ٢٢٤ ، وقال الزمخشرى المعنى : أنه لا يتبع الشــعراء على باطلهم وما هم عليه من الهجاء وتمزيق الأعراض والقدح فى الأنساب ومدح من لا يستحق •• الخ الا الغاوون والســـفهاء والشـــطار ، وقيل ، الغاوون الراوون ، وقيل : الشياطين ، وقيل : هم شــعراء قريش ، وذكر الوادى والهيوم تمثيل لذهابهم فى كل شعب من القول ، واعتســـافهم وقلة مبالاتهم بالغلو فى المنطق ، واستثنى الشعراء المؤمنين الصـــالحين الذين يكثرون ذكر الله وتلاوة القرآن وقالوا الشعر فى توحيد الله والثنـــاء عليه والحكمة والموعظة والآداب الحسنة ومدح الرسول صلى الله عليه وســـلم والصحابة وصلحاء الأمة ، قيل المراد بالمستثنين عبد الله بن رواحة وحسان ابن ثابت وكعب بن مالك وكعب بن زهير • الكشاف ٣/١٣٣ ، ٣٤ والعمدة ١/٣١ •

(٤٨) آل عمران ١٦٤ •

وقال — واذكرن ما يتلى فى بيوتكهن من آيات الله والحكمة (٤٩) ءاَيات الله القرآن ، والحكمة سنته •

---

(٤٩) الأحزاب ٣٤ ، ويذكر الزركشى : أنه سبحانه نزه القرآن عن نظم الشعر والوزن لأن القرآن مجمع الحق ، ومنبع الصدق ، وقصارى أمر الشاعر التحصيل بتصوير الباطل فى صورة الحق والافراط فى الاطراء ، والمبالغة فى الذم والايذاء دون اظهار الحق ، واثبات الصدق منه كان بالعرض ولهذا قال تعالى (وما هو بقول شاعر) أى كاذب ، ولم يعن أنه ليس بشعر فان وزن الشعر اظهر من ان يشتبه عليهم حتى يحتاج أن ينفى عنه ، ولأجل شهرة الشعر بالكذب سمى المنطقيون القياسات المؤدية فى اكثر الأمر الى البطلان والكذب شعرية ، ويقول الباقلانى : قولهم عن النبى انه شاعر محمول على أنهم نسبوه الى أنه يشعر بما لا يشعر به غيره من الصنعة اللطيفة فى نظم الكلام ويكون محمولا على ما كان يطلق الفلاسفة على حكمائهم وأهل الفطنة منهم فى وصفهم اياهم بالشعر لدقة نظرهم فى وجوه الكلام وطرق لهم فى المنطق فان زعم زاعم أنه قد وجد فى القرآن شعرا كثيرا •• فالجواب عن هذه الدعوى أن الفصحاء منهم حين اورد عليهم القرآن لو كانوا يعتقدونه شعرا ولم يروه خارجا عن أساليبهم لبادروا الى معارضته لأن الشعر مسخر لهم مسهل عليهم ، فلما لم نرهم اشتغلوا بذلك علم أنهم لم يعتقدوا فيه شيئا مما يقدره الضعفاء فى الصنعة ، كما أنهم قالوا ان البيت الواحد وما كان على وزنه لا يكون شعرا ، كما يجب على من قال بأن فى القرآن ما هو قدر البيت أو البيتين على وزن الشعر بأنه لا يعد شعرا لأنه ما يعد كذلك ما اذا قصده صاحبه تأتى له ولم يمتنع عليه ، فاذا كان هو مع قصده لا يتأتى له وانما يعرض فى كلامه من غير قصد اليه لم يصح أن يقال انه شعر ولا ان صاحبه شاعر ••

وقد قيل : ان أقل ما يكون منه شعرا أربعة أبيات بعد ان تتفق قوافيها ولم يتفق ذلك فى القرآن بحال ، انظر اعجاز القرآن ٥١ — ٥٦ والبرهان ٢/١١٣ •

وأيضا نزه النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ عن الشعر لما فيه من الايقاع بالوزن الذى يعد ضربا من الملاهى •

ــ ثم يوضح قيمة الشعر وفائدته فيقول : انه ديوان العرب ، به عرفت المآثر ، ومنه تعلمت اللغة ، وهو حجة فيما أشكل من غريب كتاب الله وغريب حديث الرسول (٥٠) •

ــ كما يتحدث عن جودة الشعراء وأن الشعر القديم ليس فيه تفاوتا كبيرا من حيث الجودة فيقول : وقد يكون شاعر أشعر ، وشعر أحلى وأظرف فأما أن يتفاوت الأشعار القديمة حتى يتباعد ما بينهما فى الجودة فلا ، وبكل يحتج والى كل يحتاج ، فأما الاختيار الذى يراه الناس للناس فشهوات ، كل مستحسن شيئا •

وعن خطر الشاعر وضرورة التزامه بقواعد اللغة وعدم الخروج عليها يقول : والشعراء أمراء الكلام يقدمون ويؤخرون ، ويومئون ويشيرون يختلسون ويعيرون ويستعيرون •

فأما لحن فى اعراب أو ازالة كلمة عن نهج صواب فليس لهم ذلك ويرفض ابن فارس القول بأن للشاعر عند الضرورة أن يأتى بما لايجوز حيث يقول : ولا معنى لقول من يقول : ان للشاعر عند الضرورة أن

---

(٥٠) أورد ابن رشيق مجموعة من الأقوال التى تشيد بالشعر ومنها قول عمر رضى الله عنه الشعر علم قوم لم يكن لهم علم أعلم منه ، وقول على كرم الله وجهه : الشعر ميزان القول ، وقول معاوية : الشعر أعلا مراتب الأدب •• الخ انظر العمدة ١/٢٧ ــ ٣١ ، كما يذكر أنه اذا نبغ فى القبيلة شاعر هنأتها القبائل لأنه يخلد مآثرهم ، نفس المرجع ١/٦٥ والصناعتين ١٢٧ •

يأتى فى شعره بما لا يجوز (٥١) ، وما ورد من خطأ فى الشعر يعــــد خطأ ، وما جعل الله الشعراء معصومين يوقون الخطأ والغلط ، فمـــا صح من شعرهم فمقبول ، وما أبته العربية وأصـولها فمردود ، بلى للشاعر اذا لم يطرد له ما يريده فى وزن شعره أن يأتى بما يقـــوم مقامه بسطا واختصارا وابدالا بعد أن لا يكون فيما يأتيه مخطئـــا أو لاحنا ، فله أن يقول « كالنحل فى ماء رضاب العذب » وهـــو يريد العســـل (٥٢) .

كلام ابن فارس عن جانب من نظم القرآن وطرقه فى التعبير :

عقد ابن فارس موازنة بين بعض الجوانب من نظم القـــرآن فى

---

(٥١) واذا كان ابن فارس لا يجيز للشاعر أى ضرورة فان ابن رشيق يعقد بابا لما رخص فى الشعر الا أنه ينفى الخيرية عن الضرورة فيقول : وأنا أذكر هنا ما يجوز للشاعر استعماله اذا اضطر اليه على أنه لا خيرفى الضرورة على أن بعضها أســـهل من بعض .. ومما أجازه : قصر الممـدود ، وتخفيف المشدد ، انظر العمـدة ٢٦٩/٢ ـ ٢٨٠ ويقـول ابن طباطبـا : فينبغى للشاعر ألا يظهر شعره الا بعد ثقته بجودته وسلامته من العيوب التى أمر بالتحرز منها ونهى عن استعمال نظائرها ولا يضع فى نفســه أن الشــعر موضع اضطرار ، وأنه يســلك ســبيل من كان قبله فليس يقتدى بالمسىء

(٥٢) الصاحبى ٢٢٩ ـ ٢٣١ .

ويبيح ابن جنى الضرورة للشعراء فيقول : سألت أبا على رحمه الله عن هذا فقال : كما جاز أن نقيس منثورنا على منثورهم ، فكذلك يجوز لنا أن نقيس شـعرنا على شـعرهم ، فما أجازته الضرورة للأوائل أجازته لنا وما حظرته عليهم حظرته علينـــا ، واذا كان كذلك فما كان من أحســـن ضروراتهم فليكن من أحسن ضروراتنا ، وما كان من أقبحها عندهم فليـكن من أقبحها ، وما بين ذلك ، الخصائص ٣٢٣/١ .

أكثر من باب من كتابه وسنذكرها هنا على الترتيب الذى ذكره ، وقد بدأ بذكر باب الاقتصاص والذى سبق الحديث عنه ، ثم ثنى بذكر « باب الأمر المحتاج الى بيان وبيانه متصل به » كقول الله (٥٣) « ويسألونك عن الأنفال » فبيان هذا السؤال متصل به وهو قوله جل ثناؤه « قل الأنفال لله والرسول » ومثله « يسألونك عن الساعة ٠٠ قل انما علمها عند ربى » (٥٤) ٠

فهذا وما أشبهه هو الابتداء الذى تمامه متصل به ٠

ـ كما تحدث بعد ذلك عن باب آخر وهو « ما يكون بيانه مضمرا فيه » وقد ذكرته ضمن باب الايجاز ٠

ـ ثم يتكلم بعد ذلك عن « باب ما يكون بيانه منفصلا منه ويجيء فى السورة معها أو فى غيرها » كقول الله جل ثناؤه « وأوفوا بعهدى أوف بعهدكم » (٥٥) ٠

قال أهل العلم : بيان هذا العهد قوله جل ثناؤه « لئن أقمتم

---

(٥٣) الأنفال ١ ، وهذا من مواضع الفصل لأن السؤال غير الجواب ٠

(٥٤) الأعراف ١٨٧ ٠

(٥٥) البقرة ٤٠ ، وقال الرازى : المراد من العهد جميع ما أمر الله من غير تخصيص ببعض التكاليف دون بعض ، وفيه روايات : منها أن الله تعالى جعل تعريفه اياهم النعم عهدا عليهم يلزمهم بشكرها ، وقوله (أوف بعهدكم) اراد به الثواب والمغفرة ، فجعل الوعد بالثواب شبيها بالعهد من حيث اشتركا فى أنه لا يجوز الاخلال به ، ومنها ما ذكره ابن فارس هنا ، ومنها أن المراد : أوفوا بما أمرتكم به من الطاعات ونهيتكم عنه من المعاصى ارض عنكم وادخلكم الجنة ، وقيل المراد بالعهد ما أثبته فى الكتب المتقدمة من وصف محمد صلى الله عليه وسلم ، التفسير الكبير ٣١٨/١ ٠

الصلاة وآتيتم الزكاة وآمنتم برسلى » (٥٦) .. الآية ، فهذا عهده جل ثناؤه ، وعهدهم تمام الآية فى قوله « لأكفرن عنكم سيئاتكم » .

فاذا وفوا بالعهد الأول أعطوا ما وعدوه .

ومن الأبواب التى ذكرها فى هذا المجال كذلك قوله : من نظـــوم القرآن أن تجىء الكلمة الى جنب الكلمة كأنها فى الظاهر معها وهى فى الحقيقة غير متصلة بها ، قال الله « ان الملوك اذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة وكذلك يفعلون » (٥٧) فقوله «وكذلك يفعلون» من قول الله لا من قول المرأة .

---

(٥٦) ١٢ المائدة .

(٥٧) النمل ٣٤ ، يقول الرازى : اختلفوا فى قوله (وكذلك يفعلون) أهو من كلامها أو من كلام الله كالتصويب لها ؟ والأقرب أنه من كلامها وانها ذكرته تأكيدا لما وصفته من حال الملوك ، التفسير الكبير ٤٠٨/٦ ، والكشاف ١٤٧/٣ والصاحبى ٢٠٢ ، ٢٠٥ .

« الخاتمــــة »

بعد هذا العرض لمـا ورد فى كتاب الصاحبى من مسائل عـــلم البلاغة يمكن القول بأن ابن فارس كانت له مساهمات لا يستهان بها فى سبيل انماء الدراسات البلاغية والمشاركة فى أرساء دعائم العديد من مصطلحاتها وقضاياها التى ما زلت تتداولها وتقرأها فى كتب البلاغة المعروفة حتى اليوم

وعندما نتأمل ما أورده ابن فارس فى كتاب الصاحبى من هـــذه المسائل وهو من علماء القرن الرابع الهجـــرى فاننـــــا لا نملك الا أن نعترف له بما قدمه من الجهد والمساهمة فى ميدان البحث البلاغى خاصة اذا ما قورن بمعاصريه الذين عاشوا معه فى نفس القرن كابن المعتـــز وقدامة وابن طباطبا وغيرهم ممن يعدهم المؤرخون للبلاغة العربية من روادها الأوائل نظراً لمـــا أثاروه فى كتبهم من قضايا ومسائل تتعلق بعلم البلاغة • مع أن كتبهم لم تكن موضوعة فى علم البلاغة وحـــده وانما تناولت مسائل البلاغة ضمن موضوعات أخرى تختص بالشعر أو النقـــد وغـــيره •

وقد اتضح أن ما ورد فى كتاب ابن فارس كان شـــــاملا للجانب الأكبر من أبواب علوم البلاغة الثلاثة والتى عرفت واتضحت مصطلحاتها حتى عصر ابن فارس •

ـــ كما أن هذا العرض لمـا تناوله ابن فارس من قضايا ومسائل تتعلق بعلوم البلاغة وخير دفاع عنه لمـا اتهم به من أنه لم يقـــدم شيئا يذكر فى مجال الدراسات البلاغية •

ــ واتهام ابن فارس بأنه صرح فى كتابه الصاحبى بأنه لم يضف جديدا ولم يبتكر طريفا وانما جمع ما تفرق فى مصنفات العلماء السابقين (١) انقاص لابن فارس حقه لأن عبارته فى بداية الصاحبى لم تكن كما ذكرت هنا وانما نص عبارته « والذى جمعناه فى مؤلفنا هذا مفرق فى أصناف العلماء المتقدمين رضى الله عنهم وجزاهم أفضل الجزاء ، وانما لنا فيه اختصار مبسوط أو بسط مختصر ، أو شرح مشكل أو جمع متفرق (٢) •

وهذه العبارة لا تفيد أنه لم يضف شيئا بل تدل على أن له فيما سبق اليه من المواد التى سيتناولها فى كتابه اختصار للمسائل التى يشعر بأنها قد بسطت واتسعت بحيث يقدمها للقارىء فى ثوب يلم بجوانبها من غير اخلال •

وهل يمكن أن يقال بأن اختصار مسألة علمية مبسوطة لا يعد عملا ذا قيمة ينسب لصاحبه أو اضافة جديدة لهذه المسألة ؟

أعتقد أن أحدا لا يقول بذلك والا لأهدرنا الكثير من تراثنا المتمثل فى اختصار المطولات وغيرها •

ــ كما أن بسط المختصر وشرح المشكل عمل من الأعمال التى يقر بها الجميع وكم لعلمائنا من شروح لما هو مختصر وبسط لقضاياه وتوضيح لما هو مشكل من المشاكل العلمية ولم يقل أحد بأن ذلك ليس بعمل ؟ •

ــ كما أن جمع متفرق المسائل العلمية وربطها ببعضها يعد من جليل أعمال المؤلفين والعلماء ، واذا كنا نتيح لأنفسنا أن نعيب على

---

(١) راجع أثر النحاة فى البحث البلاغى ٣٣٩ •
(٢) الصاحبى ص ٥ •

ابن فارس جمعه لمتفرقات المسائل فى كتابه أو اختصارها فلم لم نوجه هذا العيب الى علماء آخرين كالسيوطى وغيره ممن اشتهر بالجمع للقضايا العلمية التى سبق بها فى مؤلفاته .

واذا قيل على ابن فارس انه سبق (٣) بالحديث عن خروج الخبر عن معناه الى معان أخرى من سيبويه فالرد على ذلك أن هذه المعانى عرفت كذلك عند علماء الأصول وغيرهم ممن سبق سيبويه وهل يقال كذلك أن سيبويه لافضل له فيما ذكره من هذه المعانى لأنها ذكرت عند غيره ؟ أو يقال أن البلاغيين الذين تحدثوا عن التعريف والتنكير والتقديم والتأخير والحذف والذكر فى كتبهم التى وضعوها فى البلاغة يقال أنهم لا فضل لهم فى ذلك لأن النحويين أثاروا هذه الأمور من قبل ؟ .

المعروف أن ما عرف من أصول علمية فى أى فن يتناقله العلماء بعضهم عن بعض ولا ضرر فى ذلك .

واذا كان هذا من العيوب فلم لا نعيب على الزركشى نقله لأبواب بعينها من ابن فارس كنقله لباب نفى الشىء لعدمه كمال صفته وأخذه عنه كذلك باب المحاذاة ، وباب نفى الشعر عن القرآن (٤) كما نقل عن الباقلانى كل ما قاله فى باب نفى الشعر عن القرآن كذلك (٥) كما نقل عنه السيوطى فى باب الاقتصاص (٦) وباب الاستعارة فى المزهر مما جاء فى الصاحبى وكلها مسائل تتعلق بالبلاغة ، والأبواب التى ذكرها كل من السيوطى والزركشى فى المجاز من مخاطبة الواحد بصيغة الجمع

---

(٣) أثر النحاة فى البحث البلاغى ٣٤١ .
(٤) انظر البرهان ٣/٣٩٥ ، ٣٩١ والصاحبى ١٩٥ ، ٢١٧ ، ٢٢٩ .
(٥) اعجاز القرآن ٥١ ــ ٥٧ .
(٦) الاتقان ٣/٣٠٢ والصاحبى ٢٠٢ ، والمزهر ١/٣٣١ ــ ٣٣٨ .

أو عكسه ... الخ هذه الابواب والتى سبقهم بها ابن فارس وغيره هل يقال لهم أنكم ما فعلتم شيئا لأنكم أخذتم عن الغير ؟ أم أن العلم ينتقل ويتداول بين العلماء من عصر الى عصر ومن جيل الى جيل .

ــ ثم أننا نمتدح السكاكى ونشيد به عندما عقب على قول الله تعالى : (قل لا تسألون عما اجرمنا .. الآية وقوله ــ وانا أو اياكم لعلى هدى او فى ضلال مبين) بقوله وأن هذا هو الكلام المنصف ونعده من أحسن ما قال ولكن اذا رجعنا الى من تقدمه لوجدنا أن هذا المعنى قد سبق به من القراء فى هذه الآية حيث قال « وهذا كما تقول الرجل يكذبك ويخالفك أن أحدنا لكاذب وأنت تعنيه فكذبته من وجه هو أحسن من التصريح » (٧) .

ــ واذا كنا نؤاخذ ابن فارس على نقله بعض الأبواب من ابن قتيبة فى تأويل مشكل القرآن فانه قد ناقش ابن قتيبة فى باب الدعاء على جهة الذم لا يراد به الوقوع (٨) فان له أبوابا جيدة فى مجال البحث البلاغى تضمنها كتاب الصاحبى ، وقد نقل عنه كثير من العلماء كالثعالبى والزركشى والسيوطى وغيرهم من العلماء بل ان الامام عبد القاهر قد نقل عنه كلامه فى باب ما يجرى من غير ابن آدم مجرى بنى آدم فى الأخبار عنه ، حيث أورد عبد القاهر أحد الأبيات التى استشهد بها الامام عبد القاهر وهو قول الشاعر .

اذا أشرف الديك يدعو بعض أسرته
الى الصباح وهم قوم معاذيل

فقال عبد القاهر استعارة القوم ههنا وان كانت لا تفيد فى الظاهر اكثر من معنى الجمع فانها مفيدة من حيث أراد أن يعطيها شبها مما يعقل على أن هذا فى غير ما نحن فيه ، وذلك أنه لم يجتلب الاسم

(٧) تفسير الطبرى ٢٢/٦٥ وانظر تأويل مشكل القرآن ٣٦٩ .
(٨) تأويل مشكل القرآن ٢٧٥ ، والصاحبى ١٦٩ .

المخصوص بالآدميين حتى قدم تنزيلها منزلتهم فقال (هم) فأتى بضمير من يعقل ، واذا كان كذلك كان القول جاريا مجرى الحقيقة (٩) .

واذا قيل « ان ابن فارس لم يكن له نظرات جديدة ولا تحليل ولا تعليل وان ما صنعه هو ضرب من النقل والسرد أو اكتفاء بالجمع والحشد وهذا قصارى جهده فى هذا الكتاب » (١٠) .

فأن النظرة الفاحصة تثبت لابن فارس الكثير من الاضافات التى ذكرها فى شتى الموضوعات البلاغية التى وردت فى كتابه والتى تضمنها هـذا البحث فان كان قد سبق بذلك فانه اضاف العـديد من الأمثلة والأغراض خاصة لباب الانشاء وكانت أمثلته فى الغالب من القرآن الكريم ، كما أن له الكثير من التعليل والشرح .

ثم ان قضية التحليل والتعليل التى نطالب بها ابن فارس لم تكن ذات بال فى عصره لأن الذين كان يكتب لهم هذا الكلام كانوا على دراية بمعنى ما يقال لهم فليسوا فى حاجة لذكر العلل أو التفصيلات الكثيرة بل كان يكفيهم الاشارة الى ذلك أو التعليل الموجز .

ــ وبالنظرة الفاحصة لما ورد فى هذا البحث من مسائل بلاغية طرقها ابن فارس وتحدث عنها يمكن أيضا أن يقال أن أتهام ابن فارس لا معنى له ، ولعل الذى ذكر فى هذا البحث من مسائل بلاغية تناولها ابن فارس تمحو عنه الاتهام .

« بأنه لم تكن له صلة بالبحث البلاغى أصلا وأن أشتغاله بها كان عبثا ليس له ما يبرره » (١١) وتوقف القارىء على ما يمكن أن يدافع

---

(٩) أسرار البلاغة ٢٨ والصاحبى ٢١٢ .
(١٠) أثر النحاة فى البحث البلاغى ٣٤٢ .
(١١) المرجع السابق ٣٤٣ .

به عن ابن فارس لأن كل من تناول مسائل البلاغة فى عصر ابن فارس لم يكن يهـدف الى وضع كتاب مستقل فى البلاغة وانما كانت مسائل البلاغة تجىء فى كتبهم ضمن موضوعات أخرى قصدوا اليها ووضعوا الكتب من أجلها كمعالجة القضايا النقدية أو الشعرية وغيرها ، وليس هذا مجال عقد الموازنات بين ما فعله ابن فارس وغيره ممن عاصروه فى كتبهم لأن لهذا موضعا آخر قد يسمح الوقت بعمله فى دراسة أخرى بمشيئة الله تعالى ، ولا أشـد إتهاما لابن فارس — وهو من علمـاء التراث — من أن يقال عنه « انه ليس له فىعلوم البلاغة قدر ، ولا لآرائه قيمة بل هى حزمة من آراء السابقين لخصـها تلخيصا فى غير دراية فجمع منها القشور وترك اللباب ، ومن ثم فان عين الباحث تقتحمـه دون أن تتوقف عنده أو تلحظه » (١٢) ٠

— بل لا أشد من أن يوصف رجل عالم مثل ابن فارس بالسطو حتى يقال عنه : انه فى باب الكناية « يسطو » على باب من هنـا وباب من هناك دون الاشارة الى من أخذ منه فبدأ عمله كثوب مرقع تنفر منه النفس والعين معا ٠٠٠٠

ثم يواصل الباحث حملته فيقول : انه قـد حرم ميزة التنسيق وحسن التصنيف (١٣) ولا تعليق لى على كلمة السطو لأن ذلك لو كان صحيحا لكان كل العلماء الذين ألفوا فى عصر ابن فارس ، واتهامه بعدم الاشارة فيه شىء من الاجحاف فالرجل كثيرا ما يذكر قوله (قال بعض أصحابنا) كما أنه كثيرا ما ردد اسماء علماء كابن قتيبة والفراء وكثيرا ما ينبه على نقله دون ذكر الاسم فيقول وعند بعض كذا ٠٠٠٠ أو يقول

---

(١٢) نفس المرجع ٣٤٤ ٠
(١٣) أثر النحاة فى البحث البلاغى ٣٥١ ، ٣٥٢

وقال قوم كذا والمعروف أن هذه الآراء التى كان يذكرها دون تحـــديد أســـماء أصحابها كانت معروفة بلا شك لدى معاصريه لأن القضـــايا العلمية تكون معروفة وأصحابها معروفون لدى من يسمع أو يقرأ فلم يكن فى حاجة الى تحديد الاسماء •

ــ ثم أن اتهامه بعدم التنسيق وحسن التـــرتيب أمر لا يعيب ابن فارس لأن علماءنا وأصحاب التراث كثيرا ما يتناولوا الموضـــوع الواحد أو القضية الواحدة فى أكثر من موضع وكثيرا ما يخرجون عن أصل الموضـــوع الى قضايا فرعية تتعلق به ثم يعودون بعد ذلك الى جوهر الموضـــوع الذى يتحدثون فيه ولا أدل على ذلك من البيـــان والتبيين للجاحظ والبصائر والذخائر لأبى حيان التوحيدى بل ودلائل الاعجاز لعبد القاهر فقد عالج موضوع الاستعارة والكناية والمجاز فى أكثر من موضع من الكتاب وفى كل موضع يذكر ما يلائم الغرض من القضية التى يتحدث عنها واذا صح لنا اتهام ابن فارس بعدم التبويب وحسن التنسيق صح لنا كذلك أن نتهم عبد القاهر وغيره •

أليس فى هذه الأقوال اجحاف بابن فارس وازدراء له وهـــو من خيرة علمائنـــا والا لم يكن له الا الجمع وترديد ما قيل قبله فان له الفضل فى أن اوقفنا على ما ذكره غيره ، وعرفنا بأن هـــذه الأمور من سنن العرب ومن طريقتهم فى التعبير ، وله الفضل أيضا من حيث كان حلقة الوصـــل بين عصره وبين من سبقه ومن جاء بعـــده ، وليست القضايا العلمية قاصرة على زمن دون زمن بل القضية الواحدة كثيرا ماتذكر بعينها عند أكثر من يتناولها واذا كانت تلك نذرة تهدر لابن فارس حقه فان تلك النذرة بعينها قد تعدته أيضا الى تجريح عالم من أعـــلام الفكر البلاغى الذين تناولوا دراسة البلاغة دراسة تطبيقية من خـــلال تفسيره لكتاب الله وهو الامام الرازى الذى اتهمه الباحث بقوله (ويمكن القول بأن نذرة ابن فارس البلاغية لاغراء السـابقين كنذرة الرازى

الفائرة العقيمة لآراء عبد القاهر ، فكلاهما وقفت البلاغة عنده وكلاهما تغيرت بعده ، وكلاهما يمكن الاستغناء عنه فى تاريخ البلاغة) (١٤) .

بكل هذه السهولة يمكن الاستغناء عن الرازى وابن فارس ؟.

والعجب أننا أحيانا نقف حيارى عند فهمنا لبعض ما قاله العلماء قبلنا فكيف نلقى بهم فى عرض الطريق هكذا ؟ .

اننى أمسك عن القول فى الدفاع عن الرجلين ويكفينى ما صنعاه وما قدماه لنا من تراث لا ينكر فضله ، ويكفينى أن أدل على التفسير الكبير من أراد أن يتبين ما صنعه الرازى من خدمة للبلاغة من خلال تفسيره لكتاب الله عز وجل .

— والدفاع عن ابن فارس ودحض ما وجه اليه من اتهام أمر لا يحتاج الى توضيح بعد عرض ما ذكره من مسائل البلاغة فى هـذا البحث والتى تبين وجه الحق والصواب فى هذه القضية مما ييسر لمن يطلع عليها ان يكون مع ابن فارس حينئذ ويسلم له بجهده أو يكون ضـده ! .

واذا كانت تلك النظرة قد أوصلتنا الى القول بالاستغناء عن ابن فارس والرازى معا فان صاحب هذا القول هو الذى سيوقفنا بنفسه على فضل ابن فارس فى البحث البلاغى .

فها هو الباحث الذى قاد حملة الهجوم على ابن فارس يسلم له بالفضل فى اكثر من موضـع حيث يقول « ان حديث ابن فارس عن الحقيقة والمجاز فيه شىء من الاستقلال وعدم التبعية (١٥) .

---

(١٤) نفس المرجع والصفحة .
(١٥) نفس المرجع ٣٤٦ .

والمعروف أن بحث الحقيقة والمجاز عند ابن فارس من الأبواب التى توسع فيها والتى توضح بجلاء اتساع باع ابن فارس فى دراسته للبلاغة كما أن ما قاله الباحث نفسه عن ابن فارس فى أوصاف التشبيه ينقض ما ذهب اليه هذا الباحث من قبل من أنه لم يضف جديدا للبحث البلاغى حيث يعترف له بالفضل فيقول : « على أننا لا نغمطه حقه فى الباب الذى أسماه باب الخطاب المطلق والمفيد ، وتحدث فيه عن التشبيه المفيد وضرب لكل منهما الأمثلة وقارن بينهما فى وضوح تام ، وليس معنى ذلك اننا ننكر لجهود السابقين فى هذا الباب فان أبا عبيدة قد عرف التشبيه المفيد وأشار اليه مجرد اشارة تنم عنه دون أن يضع له الحدود بخلاف ابن فارس الذى وضح التشبيه المطلق والمفيد توضيحا لا مزيد عليه » (١٦) ٠

وفى موضع آخر يضيف الباحث مناقضا لهجومه على ابن فارس فيقول : « ولابن فارس حسنة أخرى تظهر حين يفرق بين الفعل وبين الوصف أو اسم الفاعل وأن لكل منهما موضعا لا يستعمل فيه الآخر ، وربما كان هذا معروفا لدى النحاة ولكن تطبيق هذا القول على كثير من آيات القرآن حتى تصبح قاعدة ومقياسا وبيان سر العدول عن التعبير بالفعل الى اسم الفاعل أو اسم المفعول هو الذى يذكره انا ابن فارس بمزيد من الايضاح ٠٠٠٠ ثم يقول : ولا شك أن ابن فارس كان سباقا الى ابراز هذا الفرق من عبد القاهر الذى عقد فصلا للفروق فى الخبر وطبقه على كثير من الأمثلة بطريقته الشاملة ، وعلى هذا الدرب سار الزمخشرى فى ابراز الفرق بين الفعل والوصف فى تفسيره لقوله تعالى « أو لم يروا الى الطير فوقهم صافات ويقبضن » (١٧) وأعتقد أن هذا

---

(١٦) أثر النحاة فى البحث البلاغى ٣٥٢ والصاحبى ١٦٥ ٠

(١٧) أثر النحاة في البحث البلاغى ٣٥٣ ، ٣٥٤ ، والصاحبى ٢٢٨ ٠

الباحث او رجع الى بقية المسائل البلاغية الموجودة فى الصــاحبى ــ والتى وضحها هذا البحث ــ لتبين له فى الكثير منها ــ كما تبين له فى هذه الأبواب التى أشاد بها ــ العديد من حسنات ابن فارس واضافاته التى لا تنكر .

كما نرى أن الباحث الذى اتهم ابن فارس بالعقم وطلب الاستغناء عنه يفضله على ابن جنى فى كلامه عن خروج الخبر عن معناه فيقول : « وابن جنى لم يقتصر على الاستفهام وحده من أساليب الانشاء التى يراد بها الخبر بل ذكر أيضا أن الأمر قد يراد به الخبر .

وابن جنى فى ذلك لم يكن يعنى بابراز المعانى التى يحتملها لفظ الأمر من وعد ووعيد وتعجيز وتعجب وتمن وغير ذلك كمــا فعــــل ابن فارس (١٨) .

واذا جاز للباحث أن يهاجم ابن فارس لنقله عن غيره فلم يطبق ذلك على ابن جنى الذى ذكر أنه أخــذ بحث المجــاز من أســـــتاذه الفارسى (١٩) .

واذا أردنا أن نتعرف على فضيلة ابن فارس فاننا سنجد كثيرا من العلماء قد أشادوا به قديما وحديثا .

ومن ذلك ما ذكره عنه صاحب « انباه الرواه » بقوله وكان من أعين أهل العلم ، وأفراد الدهر ، وهو بالجبل كابن لنكك بالعــراق ، يجمع اتقان العلماء ، وظرف الكتاب والشعراء ، وله كتب بديعة ورسائل مفيدة وأشعار جيدة وتلامذة كثيرة .. وله شعر جميل وكان واسع الأدب متبحرا فى اللغة العربية .... الخ (٢٠) .

---

(١٨) أثر النحاة ٣١٠ وانظر الصاحبى ١٣٠ ــ ١٥٨ .
(١٩) أثر النحاة فى البحث البلاغى ٣١٨ .
(٢٠) انباه الرواة ٩٢/١ ــ ٩٥ .

وأما من أشاد به من المحدثين فهو صاحب البلاغة عند السكالكى (٢١) حيث يقول منصفا لابن فارس « ان كتاب الصاحبى من أهم الكتب التى اعتمد عليها البلاغيون فى بحث علم المعانى ولا سيما الفصل الخاص بمعانى الكلام » .

ــ كما يشيد د. بدوى طبانة بقيمة كتاب الصاحبى فى مباحث البلاغة حيث يقول : « وكتاب الصاحبى معدود فى أهم المصادر التى يرجع اليها الباحثون فى أصول الدراسات اللغوية .... ولكن البلاغيين نسوا كتاب الصاحبى وأهملوه اهمالا شنيعا حتى لقد يسبق الى الظن أنهم لم يقفوا على هذا الكتاب ولم يقرؤه مع شهرة صاحبه بين العلماء والأدباء .

ومن هنا لم يشيروا إليه ولم يفيدوا من الدراسات الجيدة التى تميز بها والتى هى فى الوقت نفسه من أهم ما يعالجون فى كتبهم ، بل ان كثيرا من الموضوعات التى عالجها ابن فارس يمكن أن تعد أصلا من أهم الأصول فى دراسة البلاغة والبيان ، حتى فى بلاغة المدرسة المتأخرة التى طغت تعاليمها فى دراسة البلاغة وعلومها » (٢٢) .

وما ذكره الدكتور بدوى طبانة عن ابن فارس وكتابه انما هو قائم على سرد معظم موضوعاته اجمالا دون الوقوف عندها كثيرا وابرازها كما هو واضح من خلال هذه الدراسة من جمع شتات المسائل البلاغية الموجودة فى الصاحبى ووضعها فى الاطار الخاص بها من حيث توزيعها على علوم البلاغة الثلاثة مما يساعد على الحكم الدقيق على هذا الكتاب والوقوف على قيمته فى مجال الدراسات البلاغية وقيمة الجهد الذى يمكن أن ينسب لابن فارس فى هذا الميدان مما يتيح القول

---

(٢١) ٩٤ ، ٣٠٣ والبلاغة تطور وتاريخ ٦٣ .
(٢٢) البيان العربى ١٢٦ .

بأن كتاب ابن فارس لا يقل أبدا من حيث الأهمية عن بقية الكتب التي وضعت فى عصره ونسب لها الفضل فى مجال الدراسات البلاغية .

واذا كان هناك من ملاحظات على ما ورد فى كتاب الصاحبى من مسائل بلاغية فانه يمكن أجمالها فيما يأتى :

ـ أن ابن فارس قد تناول فى هذا الكتاب معظم المسائل التى تشمل علوم البلاغة الثلاثة حيث وردت عنده أبوابا كاملة من علم المعانى وكذا علم البيان وعلم البديع الى جانب الجزئيات التى تناولها من بقية الأبواب الأخرى والتى ضم هذا البحث بعضها الى بعض وجمع ما تشتت منها فى ثنايا الكتاب .

ـ وردت قضايا الباب الواحد أحيانا فى أكثر من موضع من الصاحبى تحت عناوين متعددة وان كانت فى الحقيقة كلها ترجع الى أصل واحد أو باب واحد من أبواب علوم البلاغة ، وعلى سبيل المثال فقد جاءت مسائل باب الايجاز والاطناب عنده فى غير موضع من كتابه حيث ذكر جانبا منها فى باب الحذف والاختصار ، وجانبا أخر فى باب الكف وبالاضافة الى ما ذكره فى باب ما كان بيانه مضمرا فيه ، كما تحدث عن ألوان الاطناب فى أكثر من موضع كذلك فذكر الاعتراض فى موضع والتكرار فى موضع آخر .

وفعل مثل ذلك فى كلامه عن المجاز حيث ذكر بعض علاقات المجاز المرسل فى موضع ثم تكلم عن الحقيقة والمجاز وما يندرج تحت المجاز من مسائل فى موضع أخر .

وفعل مثل ذلك فى الكناية حيث وردت أمثلتها مرة فى باب الايماء ومرة فى باب الكناية ، وكذا التغليب حيث وردت أمثلته فى أكثر من موضع .

ـ جاءت المسائل البلاغية عنده أحيانا تحت مسميات غير التى تعارف عليها البلاغيون وان كانت هذه المسميات لا تختلف فى جوهرها عن المصطلحات التى عرفت بها فيما بعد ، وله العذر فى ذلك فان وضع المصطلحات الدقيقة والتعريفات الجامعة المانعة لم تستقر بصفة نهائية الا عند السكاكى ومن تلاه من العلماء .

ـ تناول ابن فارس لهذه المسائل البلاغية انما كان لبيان طرق العرب فى مخاطباتهم والسنن التى يتبعونها ليتوصل بذلك الى فهم ما ورد فى القرآن الكريم على نمط تعبيرات العرب وطرقهم حتى لا يقال ان فى القرآن شيئا لم يعرفه العرب أو لم يتواضعوا عليه من طرق تعبيراتهم .

ـ يحمد لابن فارس أن معظم أمثلته فى كتاب الصاحبى كانت من كتاب الله عز وجل فقد أورد الكثير من الآيات القرآنية يستشهد بها على ما يقوله من الضوابط التى كان يذكرها .

ـ لم يخل كتاب الصاحبى من الموازنات بين بعض الأمثلة والأبواب التى طرقها فى كتابه حيث نسمع منه كثيرا عبارة ومثل ذلك ، وعلى هذا جاء قوله تعالى كذا .... أو قوله وقريب من هذا الباب كذا .... الخ .

ما ورد من ذلك وما هو واضح فى عرض مسائله البلاغية التى شملها هذا البحث .

ـ ومما يحمد لابن فارس غيرته على اللغة العربية وحبه الشديد لها والموازنة بين ما ورد فيها من أشياء لا يمكن لأى لغة أخرى ان تستوعبها أو تعبر عنها .

ـ كما يحمد له غيرته الدينية على القرآن الكريم وبيان أن أى

ترجمة لألفاظ القرآن لا يمكن أن تفى بنقل ما فيه من صور الأعجاز اللغة التى يترجم اليها .

— كما تضمن كتابه ذكر جوانب من وجوه أعجاز القرآن الكريم وطرق تعبيره .

— لقد كان لابن فارس أثر واضح فى كل من الزركشى والسيوطى والثعالبى والباقلانى وغيرهم ، وان كان ابن فارس يتهم بنقله من ابن قتيبة لبعض الأبواب فانه قد انفرد بذكر الكثير من الابواب والمسائل التى لم يذكرها ابن قتيبة فى كتابه وقد نبهت على هذه الأبواب التى نقلها عن ابن قتيبة وعلى الأبواب التى نقلها عن غيره فى موضعه من البحث .

— ان ابن فارس — باعتباره عالم لغة — لا يمكن أن يحاسب وأن يقوم عمله على أنه رجل بلاغة من الطراز الأول ، وقد رأينا أن من هاجمه وحاول أن يمحوه من ساحة البحث البلاغى قد اضطر الى أن ينسب له الفضل وأن يميزه عن ابن جنى وعبد القاهر فى بعض بحوثه كما وضحت ذلك من قبل .

— أن ابن فارس لم يقتصر فى مؤلفاته على علم اللغة وحده بل له مؤلفات فى كثير من العلوم نص عليها المؤرخون ، ومن ذلك تمام فصيح جامع التأويل فى تفسير القرآن ، نسبه له ياقوت فى ارشاد الأريب .

وكتاب خضاره الذى ذكره فى آخر كتاب الصاحبى ويقال : انه هو نعت الشعر (٢٣) — وله كذلك كتاب ذم الخطأ فى الشعر طبع مع الكشف عن مساوى شعر المتنبى من ص ٢٩ — ٣٢ .

---

(٢٣) انظر المزهر ٢/٤٩٨ .

واه : سيرة النبى صلى الله عليه وسلم برقم ٤٦٠ تاريخ ، ٤٩٤ مجاميع بدار الكتب .

ــ كما نسب له ابن الأنبارى وياقوت(٢٤) غريب اعراب القرآن.

ــ والجدير بالذكر أن بحوث ابن فارس البلاغية لم تقف عند كتاب الصاحبى فقط بل تعرض لذكر بعض المصطلحات البلاغية فى كتبه الأخرى مثل معجم مقاييس اللغة ومتخير الالفاظ وكان يستدل فى توضيحه للمواد اللغوية التى يشرحها بكثير من الأمثلة المليئة بالوان شتى من فنون البلاغة المختلفة .

ومن ذلك كلامه عن الكنى فى معجم مقاييس اللغة فيقول : أم الندامة أى العجلة ، وام قشعم وأم جندب وام ناد كلها كنى الداهية وام الطعام البطن (٢٥) .

كما يتحدث عن أمثلة من الاستعارة فيقول : الأبط هو ابط الانسان أو استعارة فى غيره كالابط من الرمل وهو أن ينقطع معظمه ويبقى منه شىء رقيق منبسط متصل بالجدد ، فمنقطع معظمه الابط (٢٦) كما يتحدث عن التشبيه فيقول الآباء أطراف القصب ثم قيل للأجمة أباءة كما قالوا للغيضة أراكة قال :

وأخو الأباءة اذ رأى خلانه
تلى شفاعا حوله كالأذفر

ويجوز أن يكون أراد بالأباءة فى الرماح شبهها بالقصب كثرة .

---

(٢٤) معجم الأدباء ٤/٨٠ ونزهة الألباء ٣٩٢ .
(٢٥) معجم مقاييس اللغة ١/٢٦ .
(٢٦) نفس المرجع ١/٣٨ .

وفى قول الشاعر :

اذا تداعى فى الصماد مأتمه
أحن غيرانا تنادى زجمه

يقول : شبه البوم بنساء ينحن ، يريد أن البوم اذا صوتت أحنت الغيران بمجاوبة الصدى وهو الصوت الذى تسمعه من الجبل أو الغار بعد صوتك (٢٧) .

وعن الاستعارة أيضا يقول : الأذن – بالفتح – الاستماع وقيل أذن لانه بالاذن يكون ، ومما جاء مجازا واستعارة الحديث : ما أذن الله تعالى لشىء كأذنه لنبى يتغنى بالقرآن ، والأذن – بالضم – عروة الكوز وهو مستعار (٢٨) .

كما يتحدث كذلك عن التفخيم والتعظيم وغير ذلك من مسائل البلاغة التى زخر بها معجم مقاييس اللغة .

– ويتحدث فى متخير الألفاظ كذلك عن أمثلة من أغراض البلاغة وألوانها فيقول قولهم : يوقد بين الناس بالحطر الرطب ، كناية عن النميمة (٢٩) ، ويتكلم عن المثل فيقول « ومما يجرى مجرى المثل : فلان كعروة الاناء وكأكارع الأديم (٢٨) ، وهكذا يربط ابن فارس بين الأغراض البلاغية والمادة اللغوية التى يتحدث عنها فى معجم مقاييس

---

(٢٧) نفس المرجع ٤٨/١ .
(٢٨) نفس المرجع ٧٦/١ .
(٢٩) متخير الألفاظ ٥٩ .
(٢٨) نفس المرجع ١٣٠ .

اللغة أو متخير الألفـــاظ ولولا أن البحث خاص بالصـــاحبى لسرنا مع ابن فارس فى كل كتبه وبذلك يتضح ما لابن فارس من جهد لا ينكر فى مجال الدراسات البلاغية وأنه جدير بأن يذكر ضمن علماء القرن الرابع الهجرى الذين كان لهم فضل الاســـهام فى نمو الدراســـات البلاغية وازدهارها •

هـــذا وبالله التوفيق ••••

د• فريد محمد بدوى النكلاوى

القاهرة فى :
ربيع الآخر سنة ١٤٠٦ هـ
ينـــاير ســـنة ١٩٨٦ م

أهم المصادر والمراجع

- الاتقان فى علوم القرآن .. السيوطى ، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ط الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٧٥م .
- أثر النحاة فى البحث البلاغى د. عبد القادر حسين ، طبع دار نهضة مصر للطبع والنشر سنة ١٩٧٥م .
- أساس البلاغة ، الزمخشرى طبع دار المعرفة لبنان ١٤٠٢ هـ .
- أسرار البلاغة — عبد القاهر الجرجانى ، تحقيق محمد رشيد رضا ط ٦ سنة ١٩٥٩م .
- أسرار التكرار فى القرآن ، الكرمانى ، تحقيق عبد القادر عطا . ط دار الاعتصام ١٣٩٨هـ ط ٣ .
- الاشارة الى الايجاز — العز بن عبد السلام ط دار الفكر دمشق .
- اعجاز القرآن ، الباقلانى ، تحقيق السيد صقر ط دار المعارف ط ٤ .
- انباه الرواة على أنباه النحاة ، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ، ط دار الكتب سنة ١٣٦٩هـ ١٩٥٠م .
- الايضاح — القزوينى ، مطبعة السنة المحمدية .
- البرهان فى علوم القرآن ، الزركشى ، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم .
- البلاغة تطور وتاريخ د. شوقى ضيف ، ط دار المعارف بمصر .
- البلاغة عند السكاكى د. احمد مطلوب ، ط بغداد ١٩٦٤م .
- البيان العربى د. بدوى طبانة ، مكتبة الانجلو المصرية ط ٣ .

— البيان عند الشهاب الخفـــاجى د٠ فريد النـــكلاوى ١ ، ٢ مطبعة الامانة ٠

— تأويل مشكل القرآن ابن قتيبة ، تحقيق أحمد صقر ط ٣ ٠

— تفسير البحر المحيط ، أبو حيان ، ط دار الفكر لبنان ١٣٩٨هـ ٠

— تفسير الطبرى ط بولاق ١٣٢٩هـ ٠

— التفسير الكبير ، الرازى ط دار الفكر لبنان ٠

— تقرير الانبابى على حاشية الصبان ط عيسى الحلبى ٠

— حاشية الدسوقى على شروح التلخيص ط عيسى الحلبى ٠

— حاشية الدسوقى على المغنى ، المطبعة الحميدية ١٣٥٨هـ ٠

— حاشية الشهاب الخفاجى على البيضاوى ٠

— خزانة الأدب ، البغدادى ، تحقيق عبد السلام هارون ط ١٩٧٥م ٠

— الخصائص ، ابن جنى ، تحقيق محمد على النجار طبع لبنان ٠

— دلائل الاعجاز ، عبـــد القاهرالجرجانى ، طبع صـــبيح ط ٦ سنة ١٣٨٠هـ ٠

— رسالة الأمير على البسملة ، مخطوط بدار الكتب ٠

— شروح التلخيص ، ط عيسى الحلبى ٠

— الشـــعر والشعراء ، ابن قتيبة ، تحقيق احمد شـــاكر ط دار التراث مصر ٠

— الصاحبى ، ابن فارس مطبعة المؤيد سنة ١٣٢٨هـ ـ ١٩١٠م ٠

— الصناعتين ، أبو هلال العسكرى ، طبع صبيح ٠

— الطراز ، العلوى ط دار الكتب العلمية لبنان ٠

— العمدة ابن رشيق ، ط دار الجيل بيروت ٠

— عيار الشعر ، ابن طباطبا ، تحقيق د. طه الحاجرى ، (د. محمد زغلول سلام) .
— فتح البارى ، ابن حجر العسقلانى ط دار المعرفة لبنان .
— فقه اللغة ، الثعالبى ، المكتبة التجارية سنة ١٣٥٢هـ — ١٩٣٣م .
— الكامل ، المبرد ، مكتبة المعارف بيروت .
— كتاب سيبويه ط بولاق ١٣١٦هـ .
— الكشاف ، الزمخشرى ومعه حاشية السيد طبع مصطفى الحلبى .
— متخير الألفاظ ، ابن فارس ، تحقيق هلال ناجى ط بغداد .
— المثل السائر ، ابن الأثير ، تحقيق د. احمد الحوفى ، وبدوى طبـانة .
— مجمع الأمثال ، الميدانى ، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد مطبعة السعادة .
— المصباح ، السيد الشريف ، تحقيق د. فريد النكلاوى ١٩٧٧م .
— المطول . سعد الدين التفتازانى .
— معترك الأقران فى اعجـاز القرآن ، السـيوطى ، تحقيق على البيجاوى .
— معجم الأدباء ، ياقوت الحموى .
— مغنى اللبيب ، ابن هشام بحاشية الأمير ، طبع عيسى الحلبى .
— المفضليات ، الضبى ، تحقيق احمد شاكر وعبد السلام هارون ، دار المعـــارف .
— مقاييس اللغة ابن فارس ، طبع الحلبى .
— الوساطة بين المتنبى وخصومه ، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم وعلى محمد البيجاوى ط عيسى الحلبى .
— وفيات الأعيان ، ابن خلكان ، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد مكتبة النهضة سنة ١٣٦٧هـ — ١٩٤٨م .

محتـــويات الكتـــاب

	صفحة
تقـــــديم	٣
التعريف بابين فارس	٧
كتاب الصاحبى وسبب تسميته بذلك	٩

الفصــــل الأول

فيما تضمنه الصاحبى من علم المعـــانى

قيمة البيان عند الصاحبى	١١
كلام ابن فارس عن اعجاز القرآن الكريم	١٧
ما جاء فى الصاحبى من أمثلة المجاز العقلى	٢٠
أمثلة التقديم والتأخير فى الصاحبى	٢٧
المعانى التى ذكرها ابن فارس للخبر	٣٠
ما ذكره يفيد معنى التفخيم	٣٤
ما ذكره فى باب الانشاد	٣٤
خروج الأمر عن معناه	٤٥
صور الاخراج على خلاف مقتضى الظاهر	٥٠
التعبير بالمستقبل بالمـــاضي وعكسه	٥٠

خروج « كان » عن المضى الى معان أخرى	٥٣
خروج الشرط عن معناه الى المجاز	٥٥
كلام ابن فارس عن التغليب	٥٦
الالتفات فى الصاحبى	٥٩
الفرق بين الجملة الاسمية والفعلية	٦٣
ما ورد عن الايجاز والاطناب فى الصاحبى	٦٦

الفصـــل الثـــانى

فيما تضمنه الصاحبى من علم البيــان	٨١
كلام ابن فارس عن التشبيه	٨١
كلام ابن فارس عن الحقيقة والمجاز	٨٣
ما ورد فى الصاحبى من أمثلة المجاز المرسل	٨٧
فى باب العموم والخصوص	٩٢
وقوع المجاز فى الأعداد	١٠٣

باب الاســـتعارة

كلامه عن أمثلة من الاستعارة التبعية فى الحرف	١١٥
كلام ابن فارس عن الكناية	١١٨
الخاتمـــــة	١٤٥
أهم المصادر والمراجع	١٩٢

الفصـــــل الثـــالث

ما ورد فى الصاحبى من مسائل البديع	**١٢٤**
تأكيد المدح بما يشبه الذم	١٢٤
التجريد ــ المبالغة	١٢٥
المشــــــاكلة	١٢٧
كلام ابن فارس عن القلب	١٣٠
اللف والنشـــــر	١٣٣
الاســـــتطراد	١٣٦
الاقتصـــــاص	١٣٧
باب الشـــــعر	١٣٨
جانب من نظم القرآن وطرقه فى التعبير	١٤٢

رقم الايداع بدار الكتب ١٩٨٦/٣١٨٢

مطبعة الأمانة
٣ شارع جزيرة بدران شبرا - مصر